

٩

روايات عالمية للجيب



بقلم : ستيفن كينج
ترجمة
واعداة : د. أحمد خالد توفيق

الشیطانة



الشيطنانة

لا تخافوا من (آني) .. صحيح أنها تهوى القتل .. صحيح أنها تعيش وحدها في عالم مريع .. صحيح أنها مخلوقة تمامًا .. صحيح أنها تمسك فأسًا وتتسلى بتمزيق وجهها .. لكنها إنسانة لطيفة .. تهوى القراءة ، وحين يقع كاتبها المفضل (بول شيلدون) أسيرًا في قبضتها فإنها تحسن استقباله .. (ستيفن كينج) أشهر كتاب الرعب المعاصرين يقدم لنا أروع أعماله .



المؤلف

يعترف (ستيفن كينج) الكاتب الأمريكى العظيم بأنه كان طفلاً جبائاً ! ولأن الجبناء أوسع خيالاً من سواهم ؛ فقد احتفظ هو بالرؤى التى كان يخشاها فى طفولته وترجمها إلى أعمال أدبية معقدة يمتزج فيها الرعب بالسيكولوجى وعلوم ما وراء الطبيعة والأسلوب الأنبى المحكم ، ليكون (ستيفن كينج) بذلك أشهر وأنجح كتّاب الرعب المعاصرين .. ولتحقق أعلى مبيعات فى كل كتاب .. وليضمن تحويل كل قصة من قصصه إلى فيلم سينمائى يحقق إيرادات هائلة .

هل تذكرون رواية (كارى) الكابوسية عن المراهقة التى وجدت لديها قوى نفسية هائلة ، قادرة على تدمير كل منافساتها اللواتى داعبها مداعبة قاسية ؟ لقد عرض الفيلم فى (مصر) وأحدث ضجة .

من رواياته الشهيرة أيضاً (تألق) التى تروى قصة جنون كاتب يحيا فى مكان منعزل مع زوجته وابنه .. وقد حوّل المخرج (ستانلى كوبريك) هذه الرواية إلى كابوس حقيقى فى فيلم بنفس الاسم .

فى روايته (مقبرة الحيوانات الأليفة) ينجح (كينج) فى تحويل شىء برىء ورقيق إلى مأساة .. أما فى ملحمة (الشىء) فهو يناقش عودة مخاوف الطفولة الكامنة إلى نفوس مجموعة من الأصدقاء كبروا وتفرقوا .. لكنهم ظلوا يخشون (الشىء) ويرتقبون عودته .

وفى روايته (الرجل الراكض) يتبأ (كينج) بمستقبل دام تكون حياة الإنسان فيه مجرد لعبة تليفزيونية يتم الرهان عليها .

ثم لانسى كذلك تحفه (كرونيون) .. (حشد سالم) .. (لعبة جيرالد) وكلها تتبر بذكر الجواكبوسى النفسانى المتقدم جداً أدبياً .

إن (ستيفن كينج) هو كاتب راق على إمام كبير بالأدب الإنسانى، وهو يحول قصص الرعب التى يكتبها إلى أعمال ثرية جداً فى محتواها الأدبى .

وسنساعد القراء كثيراً بتقديم هذه الرواية لهم، واسمها الأصلى هو (ميرزى) - يمكن ترجمتها (تعاسة) لكنه اسم البطلة كما سنعرف بعد قليل - وقد كتبها عام ١٩٨٧، والترجمة التالية ملىنة بالتصرف لأن صفحات القصة الأصلية تربو على ثلاثمائة وستين صفحة، كما أننا اضطررنا لحذف الكثير مما يتنافى مع رسالة روايات عالمية للجيب تجاه الشباب العربى .

د . أحمد خالد توفيق

١- الحادث ..

لم يكن هناك سوى الألم وأصوات الغناء المنبعث من كاسيت السيارة .. هذه الأصوات كانت تخبو تاركة فراغاً سرمدياً ومعها يزول الألم .. ثم كان كل شىء يعود مرة أخرى .. كان يتمنى الموت لكنه لم يدرك قط أنه تمناه .. الظلام الدامس البكر .. الصخرة التى كشف عنها الجزر فى شاطى (ريفير) .. كانت أمه تأخذها إلى هناك .. وكانت الصخرة البيضاء تتغطى بالأمواج كلما تعالى المد .. وكان يصر على الجلوس هناك يراقبها .. ثم يأتى الجزر .. وتتكشف الصخرة ببطء .. ببطء كأنياب وحش أسطورى يغفو تحت الأعماق .. كانت الأم تجمع حاجيات (بولى) .. نعم! .. هذا هو اسمى .. (بولى) .. كنت قد نسيته ..

وهنا - بين أستار الظلام - أدرك أنه لا يستطيع أن يتنفس .. أدرك ذلك فى رضا لأنه سئم اللعبة ولم يعد يتحمل أكثر ..

وهنا شعر بشفتين جافتين تنطبقان على شفتيه .. وشعر بالهواء يندفع فى فيه .. حنجرته .. رنتيه .. وشم فى اشمنزاز رائحة الأنفاس مختلطة بالشيكولاتة وكعك الفانيلىا .. وسمع الصوت يصرخ :

- « تنفس يا (بول) .. تنفس .. عليك اللعنة ! » .
حاول أن يقاوم .. لكن الهواء الملوث بالشيكولاتة عاد
يندفع عبر رنتيه .. أرجوك .. لا ... لا تدخل هذا الشيء
البشع في صدري مرة أخرى ..
* - « تنفس .. عليك اللعنة ! » .

في هذه المرة سعل بقوة .. وحاول أن يجعل صدره
يتحرك قبل أن تعيد الكرة .. سعل .. وفي هذه المرة
استطاع أن يأخذ نفساً عميقاً .. وبدأ يتنفس بعمق محاولاً
أن يغسل صدره من عفن أنفاسها ..
وعاد ينزلق إلى عالم الغيبوبة .

هذه المرة اقترب كثيراً جداً من الصخرة .. وأدرك دون
جهد أنها تلخص حالة آلامه .. فحين ينحسر الجزر عنها
يتزايد ألمه .. وحين يرتفع المد وتغطيها المياه يتلاشى ألمه
تماماً .

وحين استطاع أخيراً أن يفتح عينيه .. وأن يفتح شفثيه
برغم اللعاب اللزج الملتصق بهما ؛ وحين رأى المرأة
جالسة جوار فراشه تقرأ كتاباً ، كان أول ما لاحظته هو أن
مؤلف الكتاب يدعى (بول شيلدون) .. بصعوبة تذكر أن
هذا هو اسمه ..

أما ثانياً شيء فعله فهو أن سأل السؤال التقليدي :

- « أين أنا ؟ » .
قالت في رزانة :
- « أنت في (سايدوندر) = (كولورادو) .. اسمي
(أنى ويلكز) .. وأنا .. » .
- « أعرف .. أنت المعجبة الأولى بكتاباتي ... » .
ابتسمت .. وقالت :
- « بالفعل أنا كذلك ! » .

★ ★ ★

من جديد يعود الظلام .. ثم الألم .. والغشاوة ...
لا يذكر عن الألم سوى أنه كان أحياناً يتلاشى .. ولا يذكر
عنها سوى رائحة أنفاسها .. وأصابها تدهس شيئاً ما في فمه
على فترات منتظمة .. شيئاً له شكل كبسولات الدواء ، ولما لم
يكن هناك ماء .. كانت الكبسولة تذوب في فمه تاركة مرارة لا
توصف ... كان يؤذ لو بصقها لكنه كان يفهم أن هذا المذاق
المريير هو الذي سيجعل المد يغمر الصخرة فيزول الألم ..
كان اسمه هو (بول شيلدون) .. الكاتب نصف الشهير ..
تزوج وطلق مرتين .. يدخن بإفراط .. وقد نجا من حادث
مروع ليقع - كما عرف فيما بعد - في مصيدة مرعبة ..

★ ★ ★

كانت تذكره بصنم إفريقي في إحدى قصص (رايدار
هجاردا) .. مثل (هي) أو (كنوز الملك سليمان) ... قامتها

الفارعة وجسدها الضخم تحت السويتير الصوفى الذى
ترتيبه دائماً ..

ثم ذلك الشعور بـ (الصلادة) الذى تمنحه إياه .. كأنها
مصممة تماماً بلا أوعية دموية ولا أحشاء داخلية، وكأن
عينيه مرسومتان على الصخرة التى تمثل وجهها ..
مثل الأصنام كانت تمنح النفس شعوراً بعدم الراحة ..
بل والذعر .. إلا أنها - على خلاف الأصنام - كانت تعده
بالكبسولات التى تنسيه الألم .. وعلى فترات منتظمة كل
ست ساعات .. وعندئذ يبدأ العذ .. وترتفع المياه ..
وتختفى الصخرة ومعها الألم ..

وعندما استطاع أن يفهم ما يدور حوله ، أدرك أنها
تعطيه مسكناً قوياً اسمه (نوفريل) (*) .. ومن الواضح
أنها تملك منه مخزوناً هائلاً .. وأدرك - فى هلع - أنه صار
مدمناً تماماً لهذا المسكن ..

عرف كذلك أن هذا الدواء يحدث هبوطاً حاداً فى التنفس ..
ولعل هذا هو السبب فى توقف تنفسه فى تلك الليلة .. لقد
أعطته جرعة غير محسوبة كادت تودى بحياته ..
أما آخر ما عرفه فهو أن (أنى ويلكز) مجنونة .. مجنونة
إلى حد خطير ..

(*) دواء وهمى ..

فيما بعد قالت له إنها قرأت رواياته مراراً عديدة ،
إلا أنها قرأت قصصه التى جعل بطلتها (ميزرى) مرات
تفوق الحصر .. وأنها تمننت لو أنه يكتب أسرع من ذلك ..
وأنها لم تصدق قط أن ضحية حادث السيارة الذى أنقذته
هو كاتبها الأثير (بول شيلدون) حتى بعد أن رأت بطاقته
الشخصية ..

- « أ .. بالمناسبة .. أين محفظتى ؟ » .

- « وضعتها لك فى مكان آمن .. » قالتها وقد بدأت نذر
عاصفة تلوح على وجهها مما أثار هلعها « هل حسبتى
سرت منها شيئاً ؟ » .

- « كلاً بالطبع .. إنه .. » ..

إنها لن تفهم أبداً أن حياتك كلها داخل هذه المحفظة ..
حياتك خارج هذه الغرفة .. خارج مبنية الألم .. خارج
الزمن الأبدى الممتد كقطعة من اللبان ينفخها طفل
أخرق .. لهذا قال لها :

- « كان أبى ينصحنى بالأفارق محفظتى ولقد صارت
طبيعة ثانية عندى .. لو كنت قد ضايقتك أستميحك عفواً .. » .

قالها وشعر برضا حين وجد العاصفة تتلاشى من
قساماتها .. حاول أن يحرك قدميه لكن الألم كان شنيعاً ..

- « لا تحاول » قالتها فى رقة « لو حاولت إرغام قديمك على الكلام فلن تستكتا أبدا يا (بول) .. وأنا لن أعطيك مسكنات لمدة ساعتين .. » .
لماذا أنا لست فى المستشفى ؟ .. كان يمتنى لو سأل هذا السؤال ثم رأى أن الوقت ليس مناسباً لهذا ..
- « كم تبعد هذه المزرعة عن المدينة ؟ » .
- « تبعد مسافة ... » .

قالتها فى غموض .. وارتسعت على وجهها تعبير أثار فزعها .. تعبير ينم عن لاشيء .. عن الخواء .. لقد رأى منذ أعوام ذات التعبير فى مصحة أمراض عقلية فماذا كان اسم المرض ؟ .. (كاتاتونيا) .. نعم .. هو كذلك .. وها هى ذى تعود إلى عالم الواقع .. كأن الحرارة تعود لها ببطء ..
- « كنت ذاهبة للمدينة بسيارتى العتيقة لشراء طعام للماشية من متجر (ويلسون) برغم نذر العاصفة فى المذيع .. كنت أريد أيضاً شراء آخر قصصك (طفل ميزرى) لكنى لم أجدها بعد .. » .

- « هل لديك الكثير من الماشية ؟ » .

سألها هذا السؤال لأن وجود الكثير من الماشية يعنى أن هناك من يساعدها ، كرجل أجير على الأقل .. كان يبحث عن آخرين .. وهى لم تكن ترتدى خاتم زواج ..

- « ليس الكثير .. ست دجاجات بيضة .. بقرتان .. و (ميزرى) ! » .

ولما رأت دهشته ضحكت وأصدرت صوت الخنزير :
- « ووينك ! .. ووينك ! .. خنزيرة طبعاً .. ! .. إنها ودود لطيفة .. » .

اتسعت عيناه ذعراً .. لكنها لم تلاحظ شيئاً .. وأردفت :
- « وبعد مسيرة خمسة أميال بدأ الجليد يتساقط .. وفجأة لمحت سيارتك مقلوبة جوار الطريق .. فتوقفت ونزلت لأرى ما يحدث .. كانت أنوارك مطفأة .. وسمعتك تنن ... » .

ونظرت له فى حنان أمومى مزعج ..
ولأول مرة بدأت الفكرة تتضح فى ذهن (بول) .. إننى لفى مأزق حقيقى .. هذه المرأة ليست على ما يرام ! ..

★ ★ ★

أخيراً استعاد صورته فى فندق (بول يرادو) إذا أنهى قصته الجديدة ، التى - والله الحمد - لم تكن بطلتها هى (ميزرى كاستين) .. لقد سئم هذه الشخصية حتى النهاية .. ولكم أسعده أن يقتلها فى آخر خمس صفحات من قصة (طفل ميزرى) وغرق بعدها فى ضحك هستيرى ..

وحين كتب كلمة النهاية .. أخذ يجوب الغرفة مقهقها :
أخيراً أنا حرّ !.. أنا حرّ !.. لقد ماتت اللعينة (ميزرى) !..
وبعدها كتب قصته الجديدة المعاصرة (سيارات
سريعة) .. وجعل بطلها لصّ سيارات .. وحين انتهى منها
شعر بالرضا ..
« نلّك قد ربحت جائزة كتاب العام القادم
يا صديقى !.. » .

كذا قال لنفسه .. وطلب خدم الغرف كي يحضروا له
عشاء دسماً .. وصمم أن يحتفل بهذه الأمسية قبل أن يعود
إلى (نيويورك) .. سيأخذ السيارة الـ (كامارو) ويتجه
غرباً .. لأين ؟.. لا يدري .. لا تأخذ ثياباً، فقط خذ نصّ
قصتك (سيارات سريعة) معك وانطلق إلى (لاس فيجاس)
أو (رينو) ..

العاصفة تتجمع .. الظلام يسود .. عجلات السيارة
تنزلق .. شريط الموسيقى يصمّ أذنيك .. شيء من التوتر
يتسرب إلى روحك .. لكنك سعيد .. سعيد .. لهذا حسبت
أنك قادر على اجتياز العاصفة .. كان يجب أن تترث في
(كانا) طالباً المأوى .. لكنك صممت على الاستمرار ..
وبأقصى سرعة ..

فقط تذكر أنك كنت تتحنى للأمام باحثاً عن لغافة تبغ في
علبة السجائر .. ثم شعرت أن الكون ينقلب رأساً على
عقب ..

- « كنت تصرخ يا (بول) .. ولهذا علمت أنك ستنجو ..
المحتضرون لا يصرخون أبداً .. كنت مرتفع الحرارة لهذا
أعطيتك مضاداً حيوياً ومسكناً .. وحين نمت بدأت تستعيد
قواك .. » .

- « لقد أصيبت قنماى .. » .
- « بالطبع .. وسأعطيك مسكناً بعد ساعة من الآن .. » .
- « كلاً أرجوك أنا ... » .

كانت الصخرة واضحة تماماً في هذه اللحظة .. كأوضح
ما يكون ، والألم يتزايد عاتياً كاسخاً لا يرحم .. لكنها كانت
حازمة كأم تمنع ابنها من الإفراط في الحلوى :
- « بعد ساعة يا (بول) .. » .
وانصرفت

مرت الساعة و (بول) ينتظر في قلق وتحفز .. وفي
الثامنة تماماً دلفت للحجرة وفي يدها كوب ماء وكبسولتان
من الـ (نوفريل) وجلست على طرف الفراش .. وهزت
الكوب :

- « لقد حصلت أخيراً على نسخة من (طفل ميزرى) ..
إننى أحبها كالأخريات .. بل هي أفضلهن جميعاً .. » .

همس والعرق البارد يحتشد على جبينه :

« شكراً .. ولكن .. أرجوك .. رجلى .. ألم .. » ..
همست هي كأنما تحلم :

« أعرف أن (ميزرى) ستتزوج (أيان) حتماً .. هل
ذلك سيحدث؟ .. ولكن .. لا ..! لا تقل ..! دعنى أقرأ ذلك
بنفسى فلا أفسد متعتى .. » ثم إنها قربت الكبسولتين من
فمه .. ففتحه .. لكنها سحبت يدها :

« لقد سمحت لنفسى باستراق النظر إلى حقيبتك
الصغيرة .. رأيت فيها مخطوطة قصتك الجديدة (سيارات
سريعة) .. وهى قصة لا تلعب (ميزرى) بطولتها .. أليس
كذلك؟ » ..

« بلى .. الـ .. الدواء » ..

وتحولت نظرتها إلى نظرة أم حانية .. وأردفت :

« لا توجد سيارات فى القرن التاسع عشر .. لقد
فهمت هذا .. وقد سمحت لنفسى بالنظر إلى ما كتبته .. أظن
هذا لا يضايقك؟ .. » ..

كانت تتكلم وهى تعبث بالكبسولتين .. تقذفهما من يد
ليد .. تفركهما .. تقربهما من فمه ثم تبعدهما .. وكان هو
موشكاً على الجنون .. خذى المخطوطة اصنعى من
أوراقها قبعات ورقية .. افعلى بها أى شىء .. ولكن
أرجوك .. إننى أموت ..

« كنت أعرف أنك ولد طيب .. إن العقل الذى يفكر فى
(ميزرى) ويثبت فيها الحياة لا يمكن إلا أن يكون عقل
ولد طيب .. » ..

وقبل أن تنهى عبارتها نست الكبسولتين فى فمه ،
فابتلعهما دون أن ينتظر جرعة الماء .. وأغمض عينيه
منتظراً ..

« مجرد طفل .. هذا أنت .. إن لحظات سعيدة تنتظرنا
يا (بول) هنا .. فقط انتظر لثرى ..! » ..

رقد (بول) على ظهره بعد انصرافها يرمى السقف
ويسغى للرياح .. كان يدرك جيداً أى مآزق وقع فيه ..
ها هو ذا سجين مع امرأة لا تتمتع بكامل قواها العقلية ..
امرأة تملك مخزونها هائلاً من المخدرات .. امرأة لم تخبر
مخلوقاً أنه فى دارها ..

كانت مخبولة .. لكنه كان بحاجة إليها ليظل حياً ..
« يا إلهى ساعدنى .. إننى فى مآزق مخيف .. » ..

★ ★ ★

٢ - الغضب ..

في الصباح التالي أحضرت له الحساء وقالت إنها قرأت أربعين صفحة من مخطوطة قصته الجديدة ، لكنها لا تراها جيدة كقصصه الأخرى ..

- « من الصعب على أن أتابعها .. إنها تتواشج عبر الزمن الماضي والمستقبل بشكل شديد التعقيد .. » .

- « إنه التكنيك .. » قالها أملاً في أن تخلب لبيها هذه الألعاب اللفظية « التكنيك .. موضوع القصة هو الذي يحدد إطارها .. » .

مسحت قطرات الحساء من على شفتيه في شرود .. كأنها تتنبأ بالضبط أين ومتى ستساقط هذه على شفتيه .. وقالت :

- « إنها قصة خالية من النبل ...!.. وكل هذه الألفاظ البذينة التي بها .. » .

- لأن بطل القصة نشأ في بيئة سيئة .. أنت تفهمين هذا .. » .

- « لكن الأبناء لا يستعملون هذه اللغة .. » .



كانت محاولة .. لكنه كان بحاجة إليها ليظل حياً ..

وهنا هزت يدها بعصبية فسقطت بقعة كبيرة من
الحساء على غطاء الفراش، تقلص وجهها في
اشمزاز .. وهتفت :

- « كذا !.. انظر ما جعلتني أفعله ! » .

وألقت بسلطانية الحساء لتصطدم بالحائط ويسيل
الحساء في كل مكان :

- « اتنى عصبية المزاج إلى حد مروع .. » .

ثم إنها نهضت حاملة الصينية واتجهت للباب .. وقبل
أن تخرج التفتت نحوه .. وأردفت :

- « في قصص (ميزرى) لا توجد ألفاظ بذيئة كهذه
لأنها لم تكن قد اخترعت بعد .. إن الأزمنة الرديئة تخلق
ألفاظاً رديئة .. ولهذا أنصحك أن تعود إلى عالم (ميزرى)
الظاهر النظيف .. لن أوصل قراءة قصتك الجديدة إلا بعد
أن أنتهي من قراءة (طفل ميزرى) .. » .

- « إذا كان هذا يريحك .. فلتفعل عليه أرجوك .. » .
وبعيني خرساوين راقبها تغادر الغرفة ..

★ ★ ★

في المساء نلت إلى الغرفة .. وكان هو غارقاً في
تهويمات النعاس حين لمح وجهها الذي اكتسب لون
الرماد .. فنهض في هلع :

- « مس (ويلكز) !.. هل أنت على ماير » .

- « لا !.. » .

واقتربت منه مترنحة .. حاول أن يتراجع لكنه اصطدم
برأس الفراش .. بدا له للحظة أنها ستسقط فوقه ، إلا أنها
توقفت جواره بوجه كظيم .. عروق رقبتها بارزة
كالحبال .. وثمة وريد ينبض بعنف في جبهتها ..
وفي توحش تقلصت قبضتها :

- « أنت .. أنت .. يا طائر الشؤم !.. » .

كاد يتسائل عن سبب كل هذا .. ثم تذكر .. لا بد أنها
فرغت من قراءة القصة وعرفت كل ما كان ينبغي
الاعتراف به .. عرفت أن (ميزرى) قد ماتت بعد أن ولدت
طفلها الذي سيربيه (إيان) .. وها هي ذى الآن ترمقه في
جنون وتصيح وهي تفتح يديها وتغلقهما :

- « (ميزرى) لا يمكن أن تموت ! » .

- « (أنى) .. أرجوك ! » .

كان بجوار فراشه دورق مليء بالماء المثلج .. فأراها
ترفعه وتسكب الماء البارد فوقه .. مكعب من الثلج استقر
فوق أذنه اليسرى ثم انزلق على كتفه ... ثم إنها رفعت
الدورق وقذفته نحو الباب ليتهاشم هناك إلى ألف قطعة ...
وصرخت :

- « يا طائر الشؤم !.. كيف جرؤت على ذلك !؟ » .
أجابها بكلمات متلاحقة وعيناه تتلمعان .. كان يدرك
- ولم يكن مخطئا - أن حياته تتوقف على ما سيقوله فى
العشرين ثانية التالية :

- « (أتى) .. فى عام ١٨٧١ - زمن القصة - كانت
الكثيرات من الأمهات يمتن فى أثناء الولادة .. و (ميرزى)
لم تمت .. لقد وهبت حياتها لزوجها وطفلها .. إن روح
(ميرزى) ستظل دائما .. » .

- « لا أريد روحها !.. أريدها هى .. وأنت قتلتها ..
إغتلتها ! » .

قالتها وقد تحولت يداها إلى مخالب توشك أن تقطع
عينيه من محجريهما .. وغرست قبضتيها فى الوسادة
على جانبي رأسه ..

- « لم أقتلها يا (أتى) .. » .

- « حقا ؟ .. وإذا لم تكن قد فعلت يا سيد (بول) فمن
فعلها ؟ » بالطبع هو من فعلها .. كان يملك الدافع .. وكان
يكره (ميرزى) بجنون .. ربما منذ الكتاب الثالث .. ولكنه
- والحق يقال - فوجئ بموتها .. لم يتوقع لحظة أن ينهى
(طفل ميرزى) بمصرع البطلة ..

- « لم أقتلها .. لقد ماتت كما يحدث فى الحياة
الواقعية ... و ... » .

- « أتظننى طفلة الأمس ؟ .. لقد رأيت فى مهنتى الآلاف
يموتون .. وكان ذلك لأن أجلهم حان .. أما فى القصص
فهم يموتون لأن كاتب القصة أراد ذلك !.. والآن دعنى أقل
لك شيئا يا طائر الشؤم .. إن كاتب القصة - فى هذه المرة -
له قدمان مكسورتان .. ويعيش تحت سقف دارى يأكل من
طعامى ... » .

وفجأة .. تصلبت .. مرة أخرى وقفت وذارعها
متدليتان إلى جوارها وعلى وجهها تعبير خاو ..

قبع (بول) فى الفراش يرمقها ويصغى لصوت الماء
الذى كان بالدورق يتساقط على الأرض .. وللمرة الأولى
فى حياته جالت بذهنه فكرة القتل .. ربما كان هذا هو أمله
الوحيد والأخير ..

يبطء بدأت تعود لعالم الواقع .. غضبتها الجهنمية
تنقشع .. وفى جهامة غمغت :

- « أظن من الأفضل لى أن أرحل .. لأعتقد أنه من
الحكمة بقانى هنا .. » .

- « تذهبين ؟ .. لأين ؟ » .

- « ليس هذا من شأنك .. لو بقيت هنا لربما قارفت
عملا أحمق .. وداغا يا (بول) .. » .

الـ (نوفريل) .. الحاجة تمزقه .. لربّما فكر في النهوض
من الفراش والزحف بحثاً عن الدواء، لكنه كان يلفظ
الفكرة فوراً عالماً أنه لن ينجح سوى في السقوط ..
ومضاعفة آلامه إلى درجة كونيّة ..

كانت قدماء تحت البطانية وشكلها المشوه يفزعه .. فلم
يجرؤ قط على النظر إليهما لرؤية ما حل بهما .. لكنه كان
موقناً أنه لن يتمكن من الحركة أبداً وأن الحكمة تقضى
بالبقاء كما هو ...

في الساعة الرابعة من اليوم التالي بدأ حصان الظمأ
يسبق منافسيه في حلبة السباق .. لسانه متضخم سميك ..
وزنه يحلم بدورق الماء الذي هشمته الشيطانة ..
نام .. صبحا .. نام ثانية ..

وهنا بدأ خاطر مروع يلتع في ذهنه .. هل تكون
(أنى) قد ماتت ؟ .. لربّما انتحرت لأنها « لا تريد الحياة
بعد أن ماتت (ميزرى) .. فوداعاً أيها العالم القاسى ! » ..
وهوب ! .. تضغط زناد مسدس مصوب إلى رأسها .. إنها
مخبولة تماماً .. ومن السهل أن تغفلها ..

أو لربّما حدث لها حادث تصادم مروع بينما هي في
حالة الانفصام إياها .. ومعنى هذا أن يموت هو هنا كقار
في مصيدة ..

« وهل ستعودين لتعطينى الأقراص المسكنة ؟ »
دونما ردّ تمسك بمقبض الباب وتغلق الباب خلفها ..
للمرة الأولى يسمع صوت المفتاح يقع في القفل ..
ويسمع خطواتها تبتعد .. صوت باب يفتح .. صوت محرك
يبدأ في الدوران .. ثم يبتعد تدريجياً
لقد صار وحيداً ..

وحيداً في دار (أنى) .. سجيناً في غرفته .. حبيساً في
فراشه .. كان حلقه جافاً وعينه زانغتين ..
وكان المذ ينحسر عن الصخرة ..

★ ★ ★

واحد وخمسون ساعة ..

كان يصنع علامات بالقلم على معصمه كلما سمع دقات
الساعة .. لا بد أنه لم يضع ساعة واحدة .. لربّما غلبه
النعاس لكنه لم يضع ساعة واحدة لأنه كان يصحو
مزعوراً كلما سمع دقاتها ..

الجوع .. الظمأ .. الألم .. أفراس سباق تعدو في كيانه
يحاول كل منها أن ينال الجائزة الكبرى .. العرق البارد ..
النوم .. بالتأكيد كان يحتضر .. ولكم تمنى ذلك .. الصخرة
واضحة تماماً .. يرى كل معالمها للمرة الأولى ..
وفي الساعة الثالثة بدأ يصرخ .. يصرخ ..

في الساعة الرابعة والعشرين ظهر حصان جديد في
حلبة السباق .. إنه حصان الإدمان .. الحاجة لعقار

تعنى أن يغلبه فقدان الوعي فيستريح لكن فقدان الوعي
بقي حلماً عزيز المنال .. وها هو ذا راقد كدودة تتلوى تحت
المجهر بلا هدف سوى الموت ..

وحين عادت أخيراً ظن أنه يحلم ..

ثم أدرك أنها حقيقة .. وأنها ترتدى قبعة واسعة وثوباً
أزرق اللون .. وأن محياها متورد والرضا على وجهها ..
وأن عينيها تلتمعان بالحياة ..
بدأ يصرخ .. يتوسل .. يعوى ..

إلى أن وجدها تتاوله كوباً من الماء وتطلب منه أن
يرشف منه .. وهي تضع يداً مثلوجة خلف رأسه حتى
لا يشرق .. رشف في جشع ثلاث جرعات ثم رآها تنتزع
الماء منه :

- « لا يا (بول) .. جرعة صغيرة فى كل مرة حتى
لا تتقيأ .. »

اهتزت يداه فى لهفة متوسلاً :

- « (آنى) !.. أتوسل إليك !.. الدواء .. الألم .. »

هزت رأسها فى تسامح .. وغمغمت :

- « سأعطيك إياه .. ولكن أولاً هناك مهمة يجب أن
تقوم بها لى .. سأعود إليك حالاً .. »

ونهدت متجهة إلى الباب .. فصرخ فى لهفة :

- « لا ! »

إلا أنها لم تعبأ به .. وعناك قبع فى الفرش محاولاً
الأيمن يرغم كل شيء .. ثم .. بعد دقائق فوجئ بأخر مشهد
توقعه فى حياته .. كانت الحمقاء تدفع أمامها شواية
فحم !.. شواية من النوع الذى يستعملونه فى النزاهات
الخلوية .. وها هى ذى الآن فى غرفة نومه مستدعية
صوتاً لا تنهى من قصص القرايين الوثنية .. بالفعل لم
يكن مخطئاً حين تذكر القرايين الوثنية لأن (آنى) كانت
تحمل معها مخطوطة قصته (سيارات سريعة) - نتاج
سنتين من العمل الشاق - ومعها علبة ثقاب ملينة !

- « لا ! »

صرخ فى جنون وقد أدرك ما تنتوى عمله ، ولم تفارق
ذهنه فكرة أليمة .. لو أنه فقط استغنى عن بضع دولارات
وأعد صورة احتياطية لهذه المخطوطة ..!.. لماذا لم
يفعل ؟؟ لم يخطر له قط أن النسخة الوحيدة على وجه
الأرض لقصته ستقع فى يد (آنى) ..

- « بل نعم ! » قالتها وهى تمدّ علبة الثقاب نحوه « إنها

قصة رديئة وبذينة » .

صاح فى جنون وقد أنساه غضبه وأجب الحذر :

- « أنت لا تعرفين الغث من السمين لأنك حمقاء ! »

- « وأنت لا تعرف مصلحتك يا (بول) .. هيا .. خذ الثقباب ! » .

وهنا فوجئ بعليبة دواء تحت أنفه .. عليبة أتيقه براءة مكتوب عليها (نوفريل) .. ثم (عينة طبية مجانية) .. ثم (لا يصرف دون روثنة طبية) ، وكان عرضها واضحاً .. إذا أحرقت المخطوطة ستطويه كبسولتين من الدواء .. وستبدل له الفراش الذي يئله بالبول .. وستقدم له وجبة ساخنة .. ولنسوف يزول الألم والجوع والظما .. أما إذا لم يفعل فلن يكون بوسعها عمل شيء ..

- « أنت شيطانة ! » .

- « هذا هو ما يقوله الطفل عن أمه حين تدخل المطبخ لتجده يلهو في مسحوق الغسيل تحت الحوض ! .. وهذا يحزن الأم .. لكنه لا يمنعها من أداء واجبها كما أودى أنا واجبي الآن .. » .

الحبوب .. الحبوب ! .. المخطوطة تحوى عمل سنتين و ١٩٠ ألف كلمة .. لكنه بحاجة إلى الحبوب اللعينة ..

- « أنا بانتظارك يا (بول) .. » .

عليك اللعنة ..! .. ماذا تحاول إثباته يا (بول شيلدون) ؟ .. ماذا يدفعك إلى أن تموت أو تجن من أجل كتاب لا تعرف مصيره ولا يحوى سوى أوهام ؟ فيمن تحاول أن تؤثر ؟ وأية نتيجة تنتظر ؟ .. حتى (جاليليو) تراجع عن نظرياته بمجرد أن أدرك أنهم جادون في تهديده ..

- « أنا بانتظارك يا (بول) .. » .

نعم ! .. هلمى ! .. ناوليتى عليبة الثقباب .. ناوليتى قاذف لهب وعبوة نابالم إذا أردت ! .. لكن شيئاً فى روحه ظل يقاوم بعنف ..

- « إذن فلتحرقها أنت ما دميت تريدين ذلك .. » .

- « أتمنى هذا يا (بول) لكنى لا أستطيع .. » .

- « ولماذا ؟ » .

- « لأنك أنت من ينبغي أن يفعل هذا بكامل إرادته ! » .

بيد مرتجفة تتناول عليبة الثقباب منها .. وحاول أن يشعل عوداً لكنه لم يستطع .. من ثم تناولت هى الثقباب وأشعلت له عوداً ثم ناولته إياه .. ووضعت الصفحة الأولى على الشواية .. اللهب يتعالى .. ثم الصفحات التالية لها تتجدد .. الكلمات التى كتبها منذ أربعة وعشرين شهراً .. قال (تونى) لغفاته فى حزن « ليست لدى سيارة .. وإتنى لبطيء التعلم لكننى أفود السيارات بسرعة مذهلة » .. يذكر الأم المخاض .. ومشيه المعجون بين حجرات المنزل .. يذكر صوت جرس كنيسة بعيدة .. ويذكر لهفته .. كما فى كل مرة ، متعة البدء المقدسة ..

كما فى كل مرة ، الخشية من أن يكتب أسوأ مما أراد أن يكتبه .. ثم - كما فى كل مرة - اللذة الصارخة والفرحة بأن الرحلة قد بدأت ..

- « (آنى) .. أرجوك .. لا ترغمينى على ذلك .. » .

- « لكنك قد بدأت بالفعل .. » .

وهكذا .. أحرق (بول) كتابه ..

★ ★ ★

- « أحسنت يا (بول) .. أنت ولد طيب ولك روح رياضية عالية .. أعرف أن هذا يؤلم مثلما تؤلمك قدمك ، لهذا لن أطيل عذابك » .

قالتها وتاولته عود ثقاب أخيرًا ليلقيه على كومة الأوراق السوداء التي كانت قصته يومًا ما .. منات القصصات المحترقة تتطاير في هواء الغرفة الذي صار خائفًا .. لكن (بول) لم يهتم كثيرًا حتى لو احترقت الغرفة ذاتها .. لم يعد شيء يعنيه ..

بعد ثوان جاءت (أنى) ببلو مليء بالماء وسكبته فوق الشواية لتطفئها .. ثم أخذت كتلة الرماد المبتل خارج الغرفة ، وعادت له لتكس كبسولتين في فمه .. كان آخر ما فكر فيه قبل أن يغمض عينيه هو :
- « لسوف أقتلها ! » .

★ ★ ★

لم يستطع النوم ..

الأفكار تتلاحق في ذهنه كأنها قصصات أوراق في مهب الريح .. إنما معزولان في مزرعة بعيدة ولا يوجد جيران قريبين لأنهم - كما قالت له من قبل - لا يحبونها .. وماذا عن سيارتك الـ (كامارو) ؟ .. لا بد أنها في مكان



ثم تناولت هي الثقاب وأشعلت له عودًا ثم تاولته إياه .. ووضعت
الصفحة على الشواية ..

قريب فهل سيجدها رجال الشرطة؟.. لربما وجدوها..
وعندئذ كانوا سيبدعون حملة تفتيش واسعة ..

إن المرأة - كما هو واضح - لا تشاهد التلفاز ولا تسمع
المذياع إلا إذا كان مذياعها مزودا بسماعتي أذن ... لكنه
- للأسف - يستطيع أن يستنتج أنه مادامت الشرطة لم تأت
فهو لم يجد سيارته .. ومادام لم يجدها فمن الواضح أنه
لن يجدها أبدا !

شرح يتخيل الضابط الموسيم الذي سيأتي باحثا عنه ..
بارد الطباع .. يرتدى منظارا أسود ليرى المتهم صورته
فيه مزدوجة .. ونبرة صوته الهادئة :

- « لقد عثرنا على سيارة مقلوبة عند هضبة
(همبجي) تخص كاتبًا شهيرًا اسمه (بول شيلدون) .. لم
نجد جثته لكننا وجدنا آثار دماء على المقاعد ، فهل رأيت
رجلاً جريحاً له هذه الأوصاف يوم العاصفة؟ .. رجلاً طويل
القامة في الأربعين من عمره وشعره بلون الرمال ..
يرتدى الجينز وقميصاً مخططاً ؟ » .

ستقدم له (أني) قدحاً من القهوة (ستكون بالطبع قد
تأكدت من غلق كل الأبواب بين (بول) والشرطي)
وستقول في ثقة إنها لم تر أحداً لأنها عادت لدارها سريعاً
خشية العاصفة ... عندئذ ينهض الشرطي شاكرًا لها قدح
القهوة ويطلب منها أن تتصل به إذا ما جدّ جديد ... من

يدري؟ ربّما حدث هذا المشهد بالفعل وربّما زار هذا
الشرطي الخيالي البيت بينما كنت أنت في غيبوبة المخدر!
وبدأ الخاطر يغرق في أوراق مسودة تشتعل .. كانت
مخطوطة (سيارات سريعة) تحترق أمام عينيه ...
يا للهول! .. كانت تحرق عمله ببساطة لأنها لم تكتب في
حياتها ولا تفهم لذة الخلق .. كان اعتراضها الأحمق بذاتها
يجعلها تحسب أن هذا هو الصواب .. ربّما لو أنك كذبت عليها
وزعمت أن هناك نسخة أخرى من المخطوطة .. ربّما تركتك
وشأنك .. وربّما فهمت أن تدمير العمل يتجاوز قدراتها ..
ولكن لا .. من يدري؟ .. إن عجزها عن تدمير الكتاب البذيع
قد يدفعها لتدمير مؤلف الكتاب البذيع! .. ومن المؤكد أنه
لا توجد نسخة أخرى من (بول شيلدون) .

أغض عينيه .. وتتهد ..

صبرًا يا (أني)! .. إنه شهر (فبراير) .. وعما قريب
بذوب الجليد وتتكشف سيارتي للعيون فيراها رجل شرطة
أو فلاح على محراث أو صبية كشافة .. عندئذ ..

في الصباح أحضرت له الآلة الكاتبة ...
عتيقة مليئة بالترسوس والروافع .. تعود إلى عهد كانت
فيه الآلات الكاتبة الكهربائية والتليفزيون الملون وهواتف
المس نوعًا من الخيال العلمي ، آلة كاتبة متآكلة جلبتها له
ووضعتها - لاهثة - على الفراش عند قدميه ..

- « حسن !.. ما رأيك ؟ » .

- « جميلة !.. أنتيكة حقيقية ! » .

صاحت في حقن :

- « لم أشتريها من متجر العاديات بل من متجر الأدوات المستعملة .. إن هذه الآلات العتيقة تظل بخيرها للأبد .. هي ليست سوى دبابات !.. اشتريتها من تلك الملعونة الثرثرة (نانسى دارتمونجر) في محلها .. هي إنسانة سيئة .. إنسانة قذرة ... » .

كان قد تعود تمامًا على دورات مزاجها وخضع تمامًا لها .. كان يعرف متى تكفهر ومتى تبتسم ، ومن المذهل أنه ارتبط نفسياً بدورتها هذه .. يضحك متى ضحكت ويرتجف هلغاً متى قطبت .. لكن الثورة هذه المرة - لحسن الحظ - لم تكن تخصه .. بل تخص (نانسى دارتمونجر) ..

- « إلا أن بها عيباً بسيطاً - أعنى الآلة - هو أن حرف (النون) معطل .. انظر بنفسك .. » .

وأملت الآلة نحوه ليرى دائرة الحروف المتراسة وبينها حرف ناقص كأنه ضرس مخلوع في طاقم أسنان متهالك ..

كانت الآلة ترمقه بحدة - يستطيع أن يقسم على ذلك - واعدة إياه بأوقات عصبية ..

- « جعلت المرأة تخفض الثمن خمسة دولارات لأنني قلت لها إن حرف (التون) من الحروف الهامة في اللغة .. بل هو حرف هام في اسم كاتبى الأثير !.. » .
قال لها مدهناً :

- « وهو حرف هام في اسم ممرضتى الحبيبة ! » .
- « يا لك من وغدا ! » .

واحمز وجهها فازدانت بشاعة .. لو أن صنماً من الأصنام المرعبة في روايات (رايدار هجارد) قد شعر بالخجل .. ليدا مثل هذه المرأة .. قالت باسمة :

- « كلفنى الكرسي المتحرك كثيراً لكننى لأهتم بذلك ذرة .. إن الوقت قد حان كى تتعود الجلوس بالإضافة إلى أنك لن تستطيع الكتابة راقداً .. » ثم فرقت بأصبعها كأنها تقدم برنامج منوعات فى التلفاز .. وهتفت :

- « لقد أحضرت لك لوحاً خشبياً قطعته على المقاس .. وكذا الكثير من الأوراق .. انتظر ! » .

وغادرت الغرفة متواثبة ثم عادت بعد ثوان بكبرى متحرك وقد أراحت لوحًا من الخشب على مسنديه، ووضعت الآلة الكاتبة على اللوح صانعة بذلك نوعًا من مكاتب المعوقين .. ودون جهد رأى (بول) أية تعاسة سيعيشها وهو سجين هذا المقعد ...

- « وماذا تريد منى أن أكتب إذن ؟ » .

احمرت عيناها والتمعنا وهي تنظر له في نشوة :

- « ستكتب قصة جديدة يا (بول) .. ستكتب أفضل

قصصك .. ستكتب (عودة ميزرى) !! » .

★ ★ ★

٣ - حملة استكشاف ! ..

- « عودة (ميزرى) !؟ » .

ضمت يديها القويتين إلى صدرها والتمع وجهها ..

وهفت :

- « نعم يا (بول) !.. سيكون كتابًا خاصًا لى أنا .. فكر

لى هذا .. النسخة الوحيدة من أحدث قصص (ميزرى) لى

أنا وحدى .. وسيكون هذا هو أجرى على القيام بتمريضك

حتى عنت بكامل صحتك !.. » .

- « لكن (ميزرى) قد ماتت .. » .

وهنا توقف وقد أدرك - لأول مرة - أنه يستطيع أن

يعيدها للحياة .. لم لا ؟.. إن الرجل الذى يتوسل من أجل

المخدر لن يضيره فى شيء أن يكتب بالأمر ..

- « أنت تعلم يا (بول) أن (ميزرى) لم تمت .. » .

ببطء رفع وجهه نحوها .. وضاعظًا على كل حرف من

كلماته همس :

- « آنى) .. إذا كتبت لك هذا الكتاب .. هل ستتركينى

أرحل ؟ » .

- « أنت تتصرف كما لو كنت سجينى .. » .

- « سأتيك بحساء بطاطس وصدر نجاجة بعد نصف ساعة .. أنت ولد طيب ، وسوف أتيك بالدواء فى وقته .. ومن يدري ؟ .. ربما أعطيتك كبسولة إضافية فى وقت النوم .. يجب أن أطمئن إلى أنك تلت قسطا كافيا من النوم الهادئ .. » .
وقبل أن تغلق الباب ناولته قبلة شنيعة على الهواء ..

★ ★ ★

فى الصباح أيقظته (أنى) بينما أشعة الشمس الدافئة تتمطى من النافذة .. كان قد حلم بأن (أنى) هى (شهر زاد) فى إحدى قصص ألف ليلة وليلة .. على أنه أدرك سخف هذا الحلم حين صحا من النوم .. لم تكن (أنى) هى (شهر زاد) بل هو ! .. هو المكلف بتسليتها والويل له إن عجز عن شد انتباهها .. قامت بتحريك المقعد إلى جوار النافذة لتسقط أشعة الشمس عليه لأول مرة من دهور .. كأنه بجلده الذى لطخته فُرح الفراش يصلى صلاة شكر للذلق الأعظم ..
ومن النافذة رأى السماء الزرقاء - كأنما خلقت فى هذه اللحظة - وسجادة من الأعشاب الخضراء تمتد إلى ما لا نهاية .. يقوسطها جرن أنيق الشكل .. وجواره عربية (جيب) شيروكى معتنى بها إلى حد كبير ، دنت منه (أنى) ووضعت أمامه صينية عليها وجبة خفيفة وجلست جواره ترمقه إذ يأكل ..

نظر لها فى صمت ولم يعلق .. فأردفت فى نوع من خيبة الأمل :

- « ستكون حرا .. هل هذا هو ما تريده ؟ » .
- « أريد كل نسخ (ميرزى) الموجودة عندك من أجل المطابقة .. » .

- « لك هذا .. ولكن ما معنى (مطابقة) ؟ » .
- « إنه النسق التاريخى للشخصية .. الأماكن .. الخبرات .. وكلها أحفظها فى (دوسيه) مفهرس فى دارى ليس معى الآن .. » .

لم يبد عليها أدنى اهتمام بهذه الأسرار التكنيكية التى كانت تبهر هواة الأدب عند سماعها ، والسبب واضح .. إن (أنى) هى نموذج للجمهور المثالى .. تحب سماع القصص لكنها لا تهتم بتاتا بالآيات صنعها .. وهى تؤمن بأن (ميرزى) ومن حولها حقائق لا مجال لمناقشتها ..
- « والآن سأتركك إلى أن ترتدى قبعة التفكير .. سأدرس تجليد الكتب لأتمكن من تجليد (عودة ميرزى) وسأضعها جوار الإنجيل الخاص بأى .. » .
واتجهت نحو الباب فى مرح .. ثم توقفت قائلة :

- « أراك معجبًا بالجرن .. » قالت في شroud « مجرد
(منظره) .. إن تنظيف الجليد حين يقع على سقفه لهو
(العك) الحقيقي .. » .

(عك) و (منظره) و (طائر الشؤم) .. لو قدر لك أن
تخرج من هنا حيًا وأن تكتب عن (آني) فلا تنس قاموس
كلماتها هذا ..

- « والآن يا (بول) .. لتبدأ الكتابة .. » .

- « حسن .. ولكن .. هذا النوع من الأوراق
لا يناسبني .. » .

- « لكنها أعلى الأنواع !.. » .

- « ألم تقل لك أمك إن الأعلى ليس بالضرورة
الأفضل ؟ » .

قالها مستمتعا بإثارة حنقها .. فهو واثق بأنه - على
الأقل - قادر على قهرها فيما يتعلق بالنقاط التكنيكية التي
لا تعرف عنها شيئا .. وفي صبر بدأ يشرح لها أن الكتابة
على هذه الأوراق الناعمة تزول بسهولة بمجرد مسحها
بالأصبع .

قالت في حنق :

- « وهل أنت تنوي أن تجلس وتمسح كل صفحة
بإصبعك ؟ » .

- « إن احتكاك الأوراق ببعضها في أثناء التقلب كاف
جدا .. دائما لا بد في مهنتنا هذه من تليب الأوراق بحثًا
عن اسم أو تاريخ .. » .

- « (بول) .. أنا أكره بشدة أن تسمى هبة الله العظيمة
لك (مهنة) .. هذه وقاحة ! » .

- « أسف ... » .

- « وعلى كل حال سأحضر لك هذه الأوراق
(المقرفة) .. فلا تزعجني ... » .

ثم مدت يدها الغليظة إلى شعره فاقشعر .. حاول
الاي فعل لكن هذا كان أقوى منه .. وبصوت غليظ همست .

- « سأذهب للمتجر الآن ولكني أريد منك أن تتذكر
شيئا .. ربما أبدوك غيبة أو بطينة التفكير .. تكنك لن
تخدعني أبدًا يا (بول) فلا تحاول ذلك .. » .

نظر لها في هلع .. كان شعرها منتثرًا على وجهها وقد
تحرر من دبايسه، ونظرة الصنم الغاضب في إحدى
روايات (رايدار هجارد) .. ثم إنه سمعها تعوي من بين
أسنانها :

- « جى يى ياه ده ! » .

وهوت بقبضتها على كتلة الألم التي كانت يومًا ما
ركبته .. فصرخ .. هوى برأسه للوراء وقد وثبت العروق
على جبينه وعنقه ..

كان العرق والدمع يغمران شفتيه وهو يحاول .. الألم
بعضف به .. لا يمكن أن يوجد كل هذا القدر من الألم في
العالم .. كأنما الشياطين تلوك لحمك .. العقار ..
إل (نوفريل) .. الشيء الوحيد الذي يدفعه للحركة .. يجب
أن تبحث عنه وأن تجده في الوقت الذي انصرفت فيه ..
« (بول) يحاول بجرأة .. ترى هل ينجح ؟ » .

ثمة مشاكل عدة .. الباب المغلق .. البحث عن
الكبسولات .. احتمال أن تعود فجأة وتضبطك متلبسًا ..
لا يهم .. فلتعن بكل مشكلة في وقتها أو لمتت .. أما الآن
فالدواء هو الأهم ...

إن المقعد يتحرك .. هذا رائع ..

ضغط على شفته السفلى وبدأ يحاول الدوران حول
محور المقعد مستعملًا ذراعيه .. كان مجهودًا يفوق قدرة
البشر، حتى أنه غاب عن الوعي بضع دقائق .. ثم عاد
بواصل ما بدأه ..

مد يده بأقصى ما يستطيع إلى الأرض .. إلى ثلاثة
دبابيس شعر سقطت منها .. لكن الدبابيس ظلت بعيدة عن
متناول أصابعه .. العرق يغمر البيجامة ويتساب على
عنقه ..

« والآن .. لتجلس ها هنا وتفكر في كل الأشياء التي
أستطيع عملها من أجل إيدائك لو حاولت خداعي .. اصرخ
إذا أردت فلن يسمعك أحد .. لا أحد يمر هنا لأنهم جميعًا
يعرفون أن (أني ويلكز) مجنونة .. الجميع يعرف ما فعلته
حتى ولو كانوا قد برءوا ساحتى ! » .

واندفعت للباب ، ثم أنها استدارت نحوه فجأة .. فصرخ
ثانية متوقفا هجمة جديدة ومزيدا من الألم .. كان يرتجف
كالورقة محاولًا ألا يفعل لأن الرجفة تزيد آلامه .. كان
يبكى كطفل ..

وحين سمع محرك السيارة يهدر مبتعدًا أخذ يردد :

« يا إلهي الرحيم .. خذني بعيدا عن هذا الكابوس أو

أمتنى ! » .

كان الألم قد استيقظ .. والجزر قد بلغ مداه حول الصخرة .

★ ★ ★

والآن هو ذا المعلق المجنون يصف أحداث الميارة في
ذهن (بول) :

« أنا لا أصدق جرأة هذا الـ (بول شيلدون) .. لا أحد
من المشاهدين في استاد (أني ويلكز) يصدق ما يراه ..
إنه يحاول التحرك بالكروسي المتحرك بعد الضربة الأليمة
التي تلقاها !.. هو ذا !.. نعم !.. دعونا نر المشهد
بالعرض البطيء .. » .

« لا أظنه قادرًا على الوصول إلى الدبابيس يا شباب ..
 كان مجهودًا طيبًا لكنني أخشى أنه ينتهي هنا .. » .
 انحنى على ناحية المقعد اليماني .. كان مفصل فخذيه
 الأيمن يوشك على الانفجار .. يمدّ أصابعه كما لم يمدّها من
 قبل .. لمس دبوسًا لكنه - فقط - نجح في أن يبعده أكثر ..
 عيناه جاحظتان .. العرق يغمر حاجبيه .. أسنانه تعصر
 طرف لسانه ..

في النهاية تمكن من الدبوس .. واعتصره في قبضته ..
 جلس يلهث بعض الوقت ويلتقط أنفاسه .. ثم أنه حرك
 المقعد تجاه قفل الباب الذي أغلقته هي .. كان (توني
 بوناسارو) يطل قصته (سيارات سريعة) لص سيارت ..
 وكى يتعلم أساليبهم لجأ لرجل شرطة متقاعد علمه كيف
 يستخدم دبابيس الشعر في فتح السيارات وكيف يعطل
 الإنذار وكيف يبدأ المحرك .. لقد صار (توني) حفنة من
 الرماد الآن ، لكن نكراه لم تمت .. لذلك ..

أمسك بالدبوس .. كان القفل من النوع العتيق .. وهو
 واثق من أن يديه لن ترتجفا .. لا يمكن أن ترتجفا ..
 ها هو ذا يعالج القفل من الداخل .. يوشك دبوس الشعر أن
 يتهشم .. لكن لا .. أرجوك يا إلهي احفظه لي ..

« إن كل الجمهور بالإستاد صامت ينتظر .. (بول
 شيلدون) مستمر في محاولاته البطولية .. هيا !.. شجعوه
 يا شباب ! » .



هاهو ذا يعالج القفل من الداخل .. يوشك دبوس الشعر أن
 يتهشم .. لكن لا .. أرجوك يا إلهي احفظه لي ..

على أنه حين رفع وجهه عن الأرض وجدها واقفة أمامه !.. كانت أسنانها تلتصق .. وفي يدها بتدقية مصوية نحوه ..!!..

- « مادمت تريد حريتك إلى هذا الحد يا (بول) فمن واجبي أن أمنحها لك !.. » وضغطت على الزناد

★ ★ ★

لم تنطلق الرصاصة ...

في الواقع لم يكن وجود (أنسى) سوى كابوس رآه حين أغشى عليه .. على أنه قال لنفسه إن هذا ليس مجرد كابوس بل هو إنذار .. فمن الممكن أن تعود في أية لحظة ..

لقد خرجت في المرة السابقة خمسين ساعة .. ففعلها تخرج ثمانين هذه المرة ، ومن الوارد أن تعود الآن في أية لحظة لتفجر رأسك !..

وبدأ يدفع المقعد عبر الممر ..

كان هناك حمام على جانب الممر ، وكان يعرف بوجوده لأنه سمع المياه تتدقق منه مراراً من قبل .. نظر بداخله قرأى حوضاً و(بانيو) صغيراً ، وثمة صيدلية صغيرة معلقة .. ولم يكن هناك (تواليت) ..

عضلاته ترتجف كأنما كل الوقت الذي أضاعه فيما مضى يمارس الرياضة كان حلماً .. ولقد كاد رأسه يتفجر وهو يحاول إدارة المقعد ليواجه الباب .. إلا أنه - أخيراً - نجح في

ضغط خفيف على الرفاص .. قليلاً .. قليلاً .. دفعة أخرى يا إلهي !.. سمع صوت قرعقة فأدرك أن الدبوس قد تحطم داخل القفل .. وقيل أن يعلن لنفسه أنه فشل أدرك أن الباب قد انفتح أخيراً !..

تعالى الهتاف المجنون في الاستاد الخيالي على حين شرع المعلق يردد :

« دعونا نر اللقطة بالسرعة البطيئة .. » .

لكن حناجر الآلاف ظلت تردد الصراخ الحماسي ، دكك - بالطبع - من الملايين الذين يرون المشهد على شاشات التلفاز ..

★ ★ ★

كانت لحظة سيئة - بل مريعة - حين أدرك أن المقعد لا يمر من الباب .. وأن عرضه يزيد على اتساع الباب ببوصتين .. وهنا تذكر أنها أمالت المقعد على محوره الطولي حين أدخلته الغرفة أول مرة الأمر الذي لن يستطيعه أبداً ..

بعنف حاول أن يحشر نفسه .. تشبث بجائتي الباب ودفع المقعد بعنف غير عابئ بأن جوانب العجلات ومحاورها تخدش خشب الباب بعنف .. ولكنه مر ..!!.. في الحقيقة مر

أن يعبر بعجلات المقعد فوق البلاطات البيضاء التي تغطي الأرضية .. ثمة رائحة ما .. رائحة مستشفيات .. هل هي رائحة (الليزول) ؟ .. ليس واثقاً .. المهم الآن أن يصل إلى الصيدلية .. من الواضح هذه المرة أن الأمر مستحيل لأنها على ارتفاع تسعة أقدام من أطراف أصابعه .. ولم يستطع أن يصدق لحظة أن الحياة قاسية إلى هذا الحد .. وهنا خطر له أن يستعمل أى جسم طويل يعده لياب الصيدلية ويفتحها .. ثم يدرج بعض الدواء ليسقط في الحوض .. ولكن لا .. سنتهشم الزجاجية في الحوض وحتى إذا لم تتهشم فثمة فرصة لا بأس بها أن تسقط أشياء أخرى .. وعندئذ لن تستطيع إعادتها لمكانها .. وحين تعود (أنى) وتكتشف ما فعلت .. فماذا بعد ؟

- « سأقول لها إن (ميزرى) هي التي فتحت الصيدلية .. كانت تبحث عن دواء يعيدها إلى الحياة ! » ..

لم يكن يضحك إذ قال ذلك .. بل يبكي .. يبكي بحرقة .. وفجأة - من بين دموعه - لمح بعض صناديق من الورق المعقوى على الأرض في ركن الحمام .. وعلى كل صندوق كتب اسم إحدى شركات الأدوية العالمية ! ..

- « أرجوك يا إلهي .. لا تدع هذه الصناديق تحوى مخزونها من الشامبو أو صور أمها المرحومة الغالية ! .. »

واتجه إلى واحد من الصناديق وفتحه .. كان مليئاً بعينات الأدوية التي لم يعرف كيف يقرأ اسم أكثرها .. لكنه على الأقل لم يجد الدواء الذي يبحث عنه ..

- « (نوفريل) ! .. أريد هذا اللعين ! » ..

وأغلق الصندوق وحاول باستماتة إعادته إلى موضعه السابق .. لكن المكان اللعين بدا له مختلفاً عن المكان الأصلي .. فتح صندوقاً آخر وبدأ يقرأ الأسماء (مورفوز) .. (ليبرم) .. (نوفريل) ! .. ها هو ذا اللعين ! .. مئات العينات منه .. فتح إحداها في لهفة وابتلع ثلاث كبسولات غير عابئ بعدم وجود ماء ..

كأنه سحر ! .. لقد زال الألم ! .. لم يكن أحرق إلى هذا الحد ، وكان يعرف أن نصف ساعة لا بد أن تمضي قبل أن يبدأ العقار في العمل .. لكن - بالنسبة لجسده - كان امتلاك الكبسولات أهم من ابتلاعها ! .. كان الآن يملك السيطرة على قوى المذ والجزر وعلى الأمواج إذ تغطي الصخرة ..

والآن حان وقت الفرار .. لو جاءت الآن فسوف

انتقى خمس علب من العقار (لأن هذا أكبر عدد يمكن أن يأخذه دون أن تشعر هي) وبها ثلاثون كبسولة ، ثم أعاد تنسيق محتويات الصندوق وأغلقه كما كان لأن

صوت سيارة يقترب ! ..

اتسعت عيناه وهوت ذراعه على جانبي المقعد .. لو أن هذه سيارة (أنى) فقد انتهى الأمر .. لن يتمكن أبداً من العودة إلى غرفة النوم بهذه السرعة .. ولن يكون عليه سوى الانتظار حتى تأتى إليه وتدق عنقه ..

الصوت يتعالى .. يتعالى .. ثم يخفت تنفس الصعداء وقرر أن ينهى هذه المسرحية القاسية ويعود لغرفة النوم فوراً .. ولكن .. هل أعاد كل شيء لمكانه ؟ .. بدا لعقله المنهك أن ترتيب الصناديق ليس عشوائياً كما خيل له أول الأمر .. إن (أنى) مخبولة .. ومثل كل المرضى النفسانيين لا بد أنها تهتم بأدق التفاصيل .. ولكن .. ليكن !.. لم يكن لديه مخرج آخر سوى أن يفعل ما فعله ..

وهكذا أدار المقعد وخرج من الحمام .. وهنا جال بذهنه خاطر مرعب : ماذا لو كانت أرضية الحمام مبتلة ؟ .. لا بد أنه ترك آثاراً على البلاط الأبيض التنظيف من عجلتى المقعد .. كانت الفكرة قوية إلى حد أنه رأى تلك الآثار بالفعل .. ثم أنه طرد هذا الوسواس من ذهنه ..

كان فى طريقه إلى غرفة النوم حين أدرك أن غرفة المعيشة - حتماً - فى الجانب الآخر من القاعة .. وفى غرف المعيشة يضع أكثر الناس أجهزة الهاتف .. والتمعت الفكرة فى ذهنه المحموم ..

- « اسمعنى يا حضرة الضابط ولا تقاطعنى .. لا أعرف كم بقى لى من الوقت حتى تعود .. اسمى هو (بول شيلدون) .. أتحدث من منزل (أنى ويلكز) حيث أنا سجينها منذ فترة طويلة .. أرسلوا عربية إسعاف وسيارة دورية .. وبسرعة بحق السماء قبل أن تعود !! » .

ولكن من قال لك إن عندها جهاز هاتف ؟ .. أنت لم تسمع رنينه مرة واحدة .. أنت تجازف يا صديقى ولكن إغراء البلاستيك الأسود البارد وصوت دوران القرص أو الصوت المتقطع لأزرار التمس .. هذا الإغراء يفوق قدراتك على التحمل .. ودون تردد اتجه نحو الطرف الآخر من المعمر .. كان الهواء راكداً واللون الأحمر يسيطر على كل شيء .. ثمة صورة فى إطار مذهب لامرأة ترمقه فى حقد .. واضح طبعا أنها المرحومة أم (أنى) .. وفى أرجاء القاعة كان هناك أثاث حقير متهاك .. وفى ركن كان هناك جهاز هاتف ينفس تحت مزهرية خضراء قبيحة ..

مدّ يده للسماعة وقلبه يكاد يشب لقمه .. لكنه أدرك على الفور أنه ميت .. بلاحرارة .. « وهذا هو (العك) الحقيقى .. » .

شرع يتخيل ما فعلته .. لقد كان العالم مليئاً بالأوغاد الذين يسخرون منها ويتهمونها بشيء ما .. لهذا - ببساطة - انتزعت سلك الهاتف الخارجى لتتخلص منهم وإن حافظت على وجود الهاتف لأنه يتعلق (بالمظهر الاجتماعى) ..

واستبد به الذعر ..

لقد حان وقت العودة هذه المرة .. يجب أن تعود للحجرة
سريعا وتخفى الحبوب وتخفى أى أثر لحملك الاستكشافية ..
لا تسقط أى شيء فى رحلة عودتك .. هلم أسرع ..
وهنا سمع صوت محرك سيارتها ..، وأدرك فى هذه
المررة أنها هى !..!

★ ★ ★

كان موشكًا على فقدان الوعي ..
وفى أعماقه اختلج أعظم رعب عرفه فى حياته .. تذكر
موقفًا مشابهًا حين كان فى الثانية عشرة من عمره وقد
خرج أبوه وأمه من الدار .. تناول سيجارة من علبة سجائر
أبيه وأشعلها مستشعرًا الدوار والشعور بالذنب واللذة ..
وبينما هو فى منتصف السجارة والغرفة تعبى بالدخان
سمع صوت الباب يُفتح وأمه تهتف : « بولى !.. هذا
أنا .. نسيت كيس نقودى ! » .. شرع يحرك الدخان فى
جنون عالمًا أنه لن يفلح .. عالمًا أنه وقع فى الشرك ..
عالمًا أن العقاب آت لا محالة ..

فى هذه المرة لن يكون العقاب بضغ صفعات ..
صوت المحرك يتوقف .. إنها هى بالفعل هذه المرة ..
لاشك فى ذلك .. وضع يدين مخدرتين على العجلتين
وشرع يشق طريقه عبر الممر .. إلى باب غرفة النوم ..

حاول كالمحموم أن يقتحم الباب .. ترى هل خدشت
الطلاء ؟.. هل ثمة أثر واضح ؟.. ولكن .. لقد انحسر
المقعد فى فتحة الباب .. انحسر كقطعة فلين فى عنق
زجاجة لا تستطيع الدخول ولا الخروج .. ادفع بقوة برغم
أن هذا لن يفيد .. ادفع ..

توترت عضلات ذراعيه كأوتار الكمان المشدود ..
أخيرًا .. استطاع أن يقتحم الفتحة .. لا تتوتر .. لا بد أنها
تحمل مشروبات كثيرة .. على الأقل رزمة الورق التى
طلبتها .. فلا تتوتر .. ستحتاج بعض الوقت لإدخال هذه
الأشياء .. لقد انتهت أسوأ ما فى الأمر ..

أمسك بمقبض الباب وأداره محاولًا غلق الباب لكن
اللسان العنيد أبى أن يتحرك كأن شيئًا يعوقه .. حاول
مرارًا دون جدوى ..

صوت أبواب السيارة تغلق ..
آه !.. إنه الجزء من دبوس الشعر الذى تهشم داخل
القفل هو ما يعوق اللسان ..
صوت حقائب من البلاستيك .. وصوت أنين المرأة إذ
تنوء بحملها ..

- « هلم .. هلم أيها اللعين ! » ..
توسل إلى اللسان وتوسل إلى دبوس الشعر المسكور ..
الدمع والعرق يختلطان على خده .. إنها لن ترحمك .. لن
ترحمك ..

صوت قدميها تقتربان .. صوت مفاتيحها تخرج من
الحقيقية ..

أدار المقبض مرارًا .. اللسان يتحرك أكثر .. فأكثر
صوت باب المطبخ يفتح .. صوت (أنى) يناديه (كما
نادته أمه في ذلك اليوم) :

- « (بول) .. هذى أنا !.. لقد أحضرت لك الأوراق ! » .
وفي هذه الثانية تهشم الجزء المحشور من دبوس
الشعر .. وبرز اللسان للخارج كاملاً .. ضغط على الباب
فأقلقه .. صوت طقطقة الكالون .. هل سمعته ؟ .. مستحيل
ألا تكون قد سمعته ! .. تحرك بالمقعد إلى جوار الناظفة حين
سمع خطواتها تدنو من الباب .. وسمع صوت المفتاح يتحرك
في القفل .. لن تنجح في فتح الباب بسبب دبوس الشعر
وسينتابها الشك .. لكن لا .. لقد دار المفتاح بسلاسة ..

أغعض عينيه ودعا الله أن تحسب العرق الذى يبثل
وجبه وصدرة والرغبة فى كل جسده .. أن تحسب كل هذا
نتيجة لحرمانه من العقار ..، دعا الله كذلك ألا يكون قد ترك
خلفه أثرًا ما ..

نظر للأرض باحثًا عن آثار تركها المقعد بينما الباب
يُفتح ..

وهنا فطن لحماقته ..

كانت علب الـ (نوفريل) مازالت فى حجره !..

★ ★ ★

٤ - عودة (ميزرى) ..

كانت معها رزمتان من الورق .. وكانت تبتمسم قائلة :

- « هوذا النوع الذى أردته .. أليس هو ؟ .. »

ثم إنها نظرت له بحدّة .. وتقلص وجهها :

- « لكنك محتقن وغارق فى العرق .. ماذا كنت

تفعل !؟ » .

كاد الطفل فى داخله يصرخ .. إن (ماما) تعرف كل

شئ .. اعترف لها بكل شئ واطلب مغفرتها، إلا أنه

تماسك وأجابها بصلاصة الفولاذ :

- « أنت تعرفين ما كنت أفعل .. كنت أتعذب ! » .

مسحت العرق من على جبينه بمنديل ورقي وابتسمت

فى رقة مفرعة .. فسألها متظاهراً بأنه يتألم :

- « هل لى فى الدواء الآن ؟ » .

- « فورًا .. ولكن أريد منك أن تتذكر ما إذا كنت نسيت

شيئًا آخر يحتاج إليه العباقرة أمثالك فى الكتابة .. مثلًا

جهاز كاسيت أو شبشب كتابة أو شيئًا من هذا القبيل ..

حاول أن تتذكر .. » .

- « لا شيء يا (أنى) .. الدواء .. أرجوك .. » .
هبطت بعينيها إلى أسفل .. إلى حجره .. إلى حيث
تشابكت يداه حول علب (النوفريل) .. ظلت تنتظر فترة
طويلة .. دهورًا .. ثم ..
- « (بول) .. لماذا تمسك بيدك حجرك بهذه
الطريقة ؟ » .
انفجر باكياً .. كان يشعر بالإثم .. بالذنب .. ولكنه واصل
خدعته كآخر ورقة عنده :
- « أريد الدواء .. و الميبولة .. لقد بللت بنطالى
و » .

ابتسمت وداعبت شعره :

- « يا لك من طفل بانس ..!.. لقد تمادت (أنى) كثيرًا
هذه المرة .. (أنى) العجوز المنحطة !.. لكننى سأريحك
حالا .. » .

ما إن غادرت الغرفة حتى أخفى العلب فى المكان
الوحيد الذى خطر بباله وهو مؤخرة سرواله ، ثم استراح
فى جلسته حين رآها عائدة بالمبولة وكوب ماء
وكبسولتين من (النوفريل) ..

قال لنفسه « ثلاث كبسولات من عشر دقائق والآن
اثنان .. ربما غرقت فى غيبوبة لن تصحو منها أبداً ..
لكن .. ربما كان هذا أفضل .. » ابتلع الكبسولتين ..
وتناول منها الميبولة على حين أدارت ظهرها له ..

- « والآن لنعد للفراش .. أنت مرهق ولا بد أن قميمك
تتشدان أحياناً أوبرالية ! » .

هز رأسه برغم أنه - فى الوقت الحالى - لم يعد يشعر
بشيء .. إن جرعة الدواء الزائدة تهوى به إلى ظلمات
اللاوعى بسرعة مفزعة .. الخاطر الذى لم يفارق ذهنه هو
أنها سترفعه للفراش .. وعندئذ ينبغى أن تكون عمياء
وقائدة الحزن كى لا تلاحظ العلب التى تملأ مؤخرة
سرواله ..

- « (أنى) .. هلا انتظرت خمس دقائق حتى » .

- « حتى ماذا ؟ » .

- « حتى » .

كان يعرف ما يريد قوله لكنه لا يجد الكلمات .. ضاعت
منه وسط بحيرات اللون الرمادى التى تحيط به .. من
القسوة أن يفتضح أمره بعد كل هذه المعاناة .. ومن المؤكد
أنها ستفضح أمره على كل حال ..

إلا أنها وافقت على تركه إلى أن يبدأ العقار عمله حتى
لا يؤلمه الصعود للفراش .. وغادرت الغرفة ، فما إن
اختفت حتى انتزع علب الدواء ودسها تحت المرتبة ..
الغرفة كلها مغلفة بشاش أبيض يزداد سمكاً ، وغرق فى
غيبوبة عميقة . غيبوبة استمرت أربع عشرة ساعة ..

★ ★ ★

فرغ (بول) من كتابة أول ثلاث صفحات من (عودة ميزرى) .. كان مندهشاً من السهولة والبساطة التي استطاع بهما أن يعود إلى عالم (ميزرى) المتشعب المعقد المليء بالميلودراما .. بل - لشدة دهشته - كان الأمر مريحاً كأنك ترتدى حذاء قديماً عندك اعتاد قدميك .. كانت (آنى) جالسة بجواره تقرأ ما كتبه .. ثم أعلنت رأيها :

- « ليست سليمة !.. » .

لم يصدق أُنثيه .. كيف ..؟ إنها قصة قادمة من عالم (ميزرى) إلى حد لا يُوصف .. إنها من صميم (ميزرى) .. ولكن ما معنى (ليست سليمة) !؟

- « كيف ..؟ ألا تحبينها ؟ » .

- « كيف لا أحبها ..؟ إنها مؤثرة للغاية وقد كادت عيناي تدمعان فى بعض الفقرات .. لكنها غير سليمة .. إنها غشّ وينبغى أن تغيرها ! » .

ماذا حدث يا (بول) لقارتك المثالية ..؟ لقد تحولت القارئة المثالية إلى الناشر عديم الشفقة فجأة .. رسم (بول) على وجهه تعبير الاهتمام الصناعى الذى كان يصغى به لآراء الناشرين ، ذلك التعبير الذى كان يرضيهم ويجعلهم يتنازلون عن بعض أفكارهم الحمقاء .. وسألها :



فرغ (بول) من كتابة أول ثلاث صفحات من (عودة ميزرى) ..

- « ماذا تعنين بكلمة (غش) ؟ » .

- « أنت تذكر نهاية قصة (طفل ميزرى) .. لقد ذهب (جوفرى) على صهوة حصانه ليحضر الطبيب لـ (ميزرى) لكن الطبيب لم يأت قط ، لأن (جوفرى) سقط من على الحصان وحطم كتفه .. وهكذا لا يمكن أن تبدأ قصة (عودة ميزرى) لنجد أن الطبيب أنقذ حياتها .. » .

بدأ (بول) يفهم .. إن هذه المرأة لا تسمح له بقتل (ميزرى) لكنها - كذلك - لا تسمح له بإعادة (ميزرى) للحياة عن طريق التلقيح ..

لكنك قتلتها بالفعل .. فماذا بوسعك أن تفعل ؟ ..
قالت (آنى) :

- « عندما كنت طفلة كنت أذهب للسينما لمشاهدة الحلقات الأسبوعية التي يقوم ببطولتها (الفارس المقنع) و (فلاش جوردون) وغيرها .. كنت أذهب مع أخى مساء كل سبت فى (بيكرسفيلد) حيث ولدت .. وكنت أستمتع بنشرة الأخبار والرسوم المتحركة ، لكننى كنت شغوفاً بمعرفة ما سيحدث فى حلقة اليوم من المسلسل .. ربما أضعنا فى التفكير أسبوعاً كاملاً فى انتظار هذه اللحظة ، كانت حلقة الأسبوع الماضى تنتهى دائماً بالبطل فاقد الوعى بينما طائرته تنحدر بسرعة ، أو مقيداً فى مخزن يحترق ، أو مكبلاً فى سيارة بلا فرامل .. » .

- « يسمون هذا التكنيك (كلف هانجرز) أى (التعلق على الحافة) .. » .

- « أعرف ذلك ياسيد عبقرى ! إنك تحسبنى جاهلة تماماً .. ولوحت بذراعها فى وجهه فأدرك أن الصمت هو أسلم الحلول .. وأردفت :

- « كنت أصبو دائماً لمعرفة ما سيحدث .. وكان يرضينى أى حل طالما كان (عادلاً) .. مثلاً يصحو البطل فجأة من إغماءته .. يجد مظلة تحت المقعد .. فيربطها إلى جسده ويثب من الطائرة قبل أن تهوى .. هذا حل (عادل) .. ليس واقعياً لكنه (عادل) .. » .

كان كلامها مذهلاً وأثار اهتمامه تماماً .. إنها بالسليقة تعرف واحدة من أهم أساسيات البناء الدرامى (*) .

- « والآن خذ عندك نهاية أخرى .. عندما وضعوا البطل فى سيارة دون فرامل وأحكموا غلق السيارة وجعلوها تنطلق فى طريق متعرج بين الجبال .. لا جدوى من الفرار .. لا مخرج .. وفجأة ترى الهاوية .. وترى السيارة تطير فى الهواء وتهوى .. تصطدم بالصخور ثم تنفجر وتظهر على الشاشة عبارة (البقية فى الحلقة القادمة) .. وهكذا .. » .

(*) يسمى الأنباء هذه الطريقة بـ (أسلوب المظلة تحت المقعد) ، ويسميه السينمائيون بـ (أسلوب جريفت فى الإقناذ على آخر لحظة) ، ويسميه المسرحيون بـ (أسلوب (الإلة من الآلة) .

كانت جالسة الآن على حافة فراشه وقد اتسعت عيناها
حماسة :

- « في الأسبوع التالي ذهبت للسينما من الساعة
الثانية عشرة ظهراً برغم أن العرض لا يبدأ قبل الثالثة...
ثم بدأ العرض.. رأينا السيارة تصل لحافة الهاوية ثم رأيت
البطل يفتح باب السيارة ويثب منها، على حين هوت
السيارة لتلقى مصيرها.. كان كل الصبية في السينما
يهللون ويصفقون.. لكنني لم أفعل.. فقدت صوابي..
وقفت أصرخ : « كلاً...!.. لم يكن هذا هو ما حدث في
الأسبوع الماضي...!.. »، حاول أخى أن يخرسني دون
جدوى.. ظللت أصرخ : هل أنتم أغبياء؟.. هل فقدتم
جميعاً الذاكرة؟.. وخرجت من السينما مرددة : إن هذا
غش قذر...!.. إن البطل لم يخرج من السيارة قط قبل
سقوطها من على الحافة.. هل تفهم هذا؟.. هل
تفهمه؟ » .

والتمعت بوانر العاصفة في عينيها.. وبرغم ذعره
وبرغم استيقاظ طفولتها المعقدة، فإنه بدأ يشعر بالوجل
من نفسه لأنه مارس معها ذات (الغش القذر).. كانت
محقة في حنقها برغم تفاهة الأمر كله..

صمم على عدم استفزازها لأن غضبتها ستكون مرعبة..
أمسكت به من سترته وجذبتة ليلمس وجهه وجهها..
وصرخت :

- « هل تفهمه؟.. » .
- « طبعا يا (آنى) .. طبعا .. » .
- « إذن أنت تعرف ما يضايقني في الصفحات التي
كتبتها؟ » .

- « نعم.. أعتقد ذلك » وفي سره أكمل : « ولتلعننى
السماء إن عرفت كيف أعالج هذا .. » .
وفي أعماقه أدرك أنه لم يجد طريقة يعيد بها (ميزرى)
للحياة ويقنع (آنى) بها فإن نهايته قريبة ..

★ ★ ★

أغمض (بول) عينيه وأرجع ظهره للوراء في مقعده .
كان الألم قد بدأ يتلاشى، ومن الغريب أنه لم يلمس
مخزونه من الـ (نوفريل) المخبأ تحت المرتبة، كأنما كان
يكفيه هذا (التأمين ضد مخاطر (آنى)) ليزول الألم.. لكن
المشكلة الحقيقية كانت هي إداركه لخطر الإلتمان الزاحف
عليه.. ما دام الألم يقل ويذار ويذا فلم لا تعتمد على مسكن
أقل خطراً كالأسبرين مثلاً؟.. لم لا تحاول أن تخفى إحدى
الكبسولتين اللتين تعطيهما لك كل ساعتين تحت لسانك حتى
لا تبتلعها.. وعندما تمضى هي تخرجها من فيك وتنسها
تحت الوسادة؟.. هكذا تستطيع تقليل الجرعة تدريجياً..

ولكن .. أنا مُتعب اليوم .. ليكون ذلك غذا ، أو - على الأكثر - حين ترضى (أنى) عن الفصل الأول من قصة (عودة ميزرى) ..

لكنها مخبولة .. أنت تترك ذلك .. ولن يروق لها أى شيء مما تكتبه .. أنت تفهم هذا جيداً ..، لكم من صفحات تكذبت فى سلة المهملات ليلة أمس كلها مليئة بسطور حمقاء تتحدث عن المعجزة التى عادت بها (ميزرى) للحياة .. وكلها سخيفة تفتقر للعدل .. (غش قدر) كما قالت (أنى) .. إنه لمحفوظ حقاً فى كون (أنى) لم تهشم قدميه بمضرب الـ (بيسبول) أو تطلى له أظفاره بماء النار تعبيراً عن عدم رضاها .. إن هذا يناسب مفهومها الفريد للعالم ..، لقد ابتكرت (أنى) أسلوباً جديداً فى النقد الأدبى كفيلاً بإثارة الرعب فى قلوب الأديباء جميعاً .. وفى مرارة نظر إلى الآلة الكاتبة .. وغمغم :

- « إننى أمقنك ..! » .

★ ★ ★

كان يفتش عن (المظلة الموجودة تحت مقعد الطائرة) .. وضع ورقة فى الآلة الكاتبة .. وكتب على ركنها الأيمن العلوى (عودة ميزرى) ثم رقم (١) على الركن الأيسر العلوى .. وأدار الرافعة أربع أو خمس مرات وكتب فى منتصف الصفحة (الفصل الأول) .. كان يضغط المفاتيح بعنف أكثر مما يقتضيه الأمر لأنه أراد أن تسمعه (أنى) ..

والآن ها هو ذا بياض الصفحة يتحدى عينيه كجبل من الجليد سيسقط من فرقته ليدق عنقه .. « إن هذا غش قدر .. » كان يرضينى أى حل ما دام عادلاً .. « مادمت تريد هربتك إلى هذا الحدّيا (بول) فمن واجبى أن أمنحها لك ! » .. « هذا هو العك الحقيقى .. » ..

كان يغرق فى بحر الشرود .. خطأ جسيم لأنها لو دخلت الغرفة ووجدته شاردًا ستجن .. لكنه لم يكن يملك أن يركز تفكيره ..

كان يعود بذاكرته إلى معسكر الكشافة فى (مالدن) .. الدائرة .. واللعبة التى كنت تريحها دائماً .. ماذا كان اسمها؟ اسمها (هل تستطيع؟) .. وكان رئيس الكشافة يجلس الصبية حوله فى دائرة ويحكى لهم عن رجل يدعى (كوريغان المستهتر) يستكشئ ، الادغال فى أمريكا الجنوبية .. وفجأة يجد نفسه محاصراً بأسود جانعة ..

وهنا يشير رئيس الكشافة إلى واحد من الصبية ويضغط زر ساعة الإيقاف ويسأله .. « (دانيل) .. هل تستطيع؟ » .. عندئذ يواصل (دانيل) سرد القصة خلال عشر ثوان ، فإن تأخر فى الكلام كان عليه أن يترك الدائرة .. يستطيع (دانيل) - مثلاً - أن يقول إن (كوريغان) أطلق الرصاص على الأسود وجرى .. ثم ينتقل بالسؤال إلى أحد المحيطين به

« هل تستطيع؟ » ليأخذ منه زمام السرد.. وكانت هناك الكثير من التلفيقات، لذلك كان دور الجزء الأعقد من اللعبة: « هل فعل ذلك؟ » يسألها الرئيس طالباً رأى الصبية في مدى مصداقية ماتم سرده.. قد يوافقون وقد ينكرون.. (بول) لم يخسر اللعبة قط

هل تستطيع يا (بول)؟! .. طبعاً.. لهذا أنا حتى.. ولهذا أنا ترى.. هناك من يكتبون بأسلوب أفضل مني.. وهناك من يفهمون البشرية خيراً مني.. أنا لا أستطيع لعب التنس ولا أستطيع تغيير (جلدة) الصنوبر ولا أستطيع عزف نغمة واحدة على الجيتار.. بل وفشلت في زواجي مرتين، لكنني أستطيع.. أستطيع.. أن أخلق قصصاً تبهرك.. تسحرك.. تجعلك ترتجف فرحاً.. أو تبكي حزناً.. ولهذا سأنجح.. سأعيد (ميزرى) إلى الحياة ولن يجرؤ واحد على رفض مصداقية كلماتي حين يسألهم الرئيس:

« هل فعل ذلك؟ » .

لن يجعلني أحد أخرج من الدائرة .

في الساعة الحادية عشرة بدأ (بول) يكتب.. في البدء كان بطيئاً.. ضربات فردية على المفاتيح تليها فترات من الصمت قد تصل إلى خمسين ثانية، ثم بدأت فترات الصمت تقصر.. وتقصّر.. وبدأت سرعته تزداد وقرقعة المفاتيح تتواصل..

وحين دخلت (آنى) الحجرة لتراقبه لم يشعر بوجودها، بالأحرى لم يشعر بوجوده هو نفسه.. ظل يعمل في حماسة حتى الثالثة بعد الظهر.. ثم إنه - في المساء - طلب منها أن تعيده إلى المقعد ثانية ليواصل الكتابة، وفي الحادية عشرة دخلت (آنى) الحجرة لتعيده للفراش إلا أنه توسل إليها كي تتركه خمس عشرة دقيقة أخرى.. لكنها رفضت..

وللمرة الأولى نام بمجرد أن لامس الفراش ودونما أحلام.. لقد استهلك كل رصيده من الأحلام على الورق..

كانت قصة (عودة ميزرى) تبدأ باكتشاف مروع.. إن هناك من الأسباب ما يدعو حارس المقبرة للاعتقاد بأن (ميزرى) ما زالت حية فهو يسمع صوت أنين وحركة من التابوت الذي ترقد فيه، ويصارع (جيوفرى) ومسر (راميدج) بذلك.. من ثم يصمم هذان الاخيران على نبش المقبرة ليبريا ما هناك..

كانت هذه هي نهاية الفصل السابع حين دلفت (آنى) إلى الحجرة .. نظر إليها وإلى الأوراق التى تحملها والتى فرغت من قراءتها .. وسألها :

- « حسن .. هل هذا (عادل) ..؟ »

- « بالفعل .. (عادل) ومثير .. لكنه شنيع !.. هو لا يشبه أياً من قصص (ميزرى) السابقة .. ثمة شيء مفرع .. » .

فكر (بول) : هذا لأن كاتب القصة يعيش فى ظروف شنيعة هو الآخر .. ثم إنه سألها :

- « هل أستمر على هذا النسق ؟ » .

- « سأقتلك لو لم تفعل ! » .

هذه المعاملة جمدت الدم فى عروقه .. إن العبارات على منوال « أنت جميل ويمكننى أن أكلك أكلاً .. » كانت مفرعة حين تقولها (آنى) ، إلا أنه شعر بالرضا حين لاحظ أنها تقف بعيداً كأنما تخشى الاقتراب منه .. إنها الحرارة المنبعثة من بين السطور .. لقد شعرت (آنى) حتى كأنها تخشى الاقتراب أكثر لنلا تحترق !..

- « هل تحبين أن تقرئى ما أكتب أولاً فأولاً ؟! » .

- « هذا يناسبنى ويشوقنى .. سأقرأ فصلاً فصلاً » .

- « أريد خدمة أخرى .. هلا أكملت لى كل حروف

(النون) الناقصة بالقلم ؟! .. » .

- « هذا يسعدنى .. » .

قالتها وغادرت الغرفة ..

هنا لاحظ (بول) شيئاً ما ...

على جانبى الباب كانت هناك علامتان سوداوان .. علامتان تركتهما جوانب الكرسي منذ ذلك اليوم الذى كانت فيه حملته الاستكشافية .. إن (آنى) لم ترهما حتى الآن .. ولكن إلى متى ؟ .. ستراهما .. وعندئذ ...

★ ★ ★

صباح اليوم التالى كان جالساً فى الفراش يرشف قنخاً من القهوة .. وفجأة اقتحمت (آنى) الحجرة وفى يدها - صدق أو لا تصدق - زوج من (الكلبشات) الحديدية ، وقبل أن يفهم (بول) شيئاً رفعتة فى الفراش فصرخ من الألم .. وسقط قدح القهوة على الأرض .. ماذا دهاها ؟! .. وفى ثوان لوت يديه خلف ظهره وقيدتهما بالأصفاذ ..

- « اخرس يا غبى .. ولا كلمة ! » .

قالتها وكومت طرف الملاءة ودسته فى فمه ..



« اخرس يا غبي .. ولا كلمة ! »

قالتها وكومت طرف الملاءة ودسته في فمه ..

« أحذرك يا (بول) .. لو سمعوا صوتك أو لو سمعت أنا صوتك سأقتله ثم أقتك ثم أقتل نفسي ! » .

آه ! .. إذن فهناك زائر ! .. سمع (بول) صوت الباب الخارجى يُغلق ، ومن النافذة المفتوحة رأى سيارة تقف جوار سيارة (آنى) الجيب .. ورأى رجلاً مهندماً فى الستين من عمره يغادر السيارة .. ها هى ذى (آنى) تهرع فى اتجاهه .. لماذا لا تدعيه للدخول يا (آنى)؟ .. لماذا لا تدعيه ليرى طائرک النادر المكبل بالأصفاذ فى الفراش ؟ ..

كانت تتكلم والبخار الأبيض يخرج من فيها كبالونات الكلام فى القصص المصورة .. والرجل يحاول إقناعها بشيء ما .. ثم يريها أوراقاً لكن (آنى) تأبى النظر إليها ربما لأنها (مقرفة) أو (عك) ..

يا لمذاق الملاءة فى فم (بول) ! .. القىء يتصاعد إلى حلقة لكنه يقاومه .. الرجل يتجه فى استعلاء إلى سيارته ليدير محركها ، على حين تقف (آنى) تصرخ وهى تهز أصبعها مهددة .. الصوت يصل بصعوبة لأذنى (بول) .

- « أنت تحسب نفسك نبيبيبيها ! » -

لكن الرجل تحرك بالعربة غير عابئ بثورتها .. فإذا بها
تركل مصباح السيارة بعنف لتهشمه تمامًا .. وثورتها
تتزايد .. تتزايد :

- « يا طائر الشؤم !.. حتى الكلاب تكون أكثر لياقة
منك حين ... » .

لكن الرجل كان قد ابتعد وقد آثر السلامة !..
سمع (بول) باب المطبخ يُفتح ويُغلق بعنف .. فقال
لنفسه :

- « حسن .. لقد ذهب السيد (منقذ) بعيدًا عن متناول
يدها .. لكنني هنا !.. للأسف أنا هنا ! » .

★ ★ ★

٥ - المزيد من الاكتشافات ..

حين عادت للمعرفة أخذت تذهب وتجيء دون أن تنتظر
في اتجاهه .. مرددة في عصبية وهي تلوح بقطعة الورق
التي ناولها إياها الرجل :

- « عشرة في المائة زيادة في الضرائب ..
حجوزات .. محامون !.. قرف !.. قرف ! » .

أخذ ينن محاولاً تذكيرها بالملاءة المحشورة في فمه
لكنها لم تعره انتباهًا ..

- « خمسمائة دولار يجب أن أدفعها على هذا المنزل ..
ولكن كيف نسيت ذلك ؟ » .

وفي شرود بدأت تفك وثاقه وأعدت الأصفاد إلى جيب
مريولتها .. كان هو يفكر .. الواقع يا (آنسى) أنك نسيت
- ببساطة - لأن حالتك تتدهور .. يوماً فيوماً تعبرين الحاجز
الفاصل بين الجنون القابل للعلاج والجنون المستعصي ..
لم تكن تملك مالاً ؛ لهذا عرض أن يعيرها خمسمائة
دولار في حافظته على أن تذهب للمدينة فوراً لتسدد
ما عليها من ضرائب ، وكان يأمل بذلك في بضع ساعات
من الوحدة يواصل فيها اكتشافاته ..

بعد تردد أحضرت له الحافظة ليعطيها المال ..

منذ شهور يا (بول) كنت إنساناً حراً مفعماً بالحياة
يدخل إلى (بنك بولدر) ليصرف شيكاً بخمسمائة دولار ..
كانت الموظفة التي صرفت لك الشيك فاتنة وقد رمقتها
بإعجاب فبادلتك النظر .. لو أنها رأتك الآن ..!.. لو أنها
رأت الشبح الذي صرته كسيح القدمين تاحلاً واهناً !..

كان يبكي .. بحرقة يبكي

★ ★ ★

حين رحلت (آنى) كان هو مستعداً .. دبائيس الشعر
التي جمعها خلسة من وراء ظهرها طيلة الأيام الماضية
كما يجمع السنجاب البندق ..، وحين تأكد من أنها انصرفت
فعلماً وليست قابعة فى انتظار ضبطه وهو (يعط) (مصطنح
آخر من قاموس (آنى) أترى به لغته أخيراً) ؛ عندئذ بدأ
يتحرك بالمقعد نحو الباب .. كانت ذراعه قد ازدادت قوة
وهذا سيدهش (آنى) لو عرفته يوماً ما .. حتماً ستعرف
ذلك حين يخنقها !..

هذه المرة لم تستغرق منه معالجة القفل الكثير من
الوقت .. وانفتح الباب بسهولة .. أخرج منديلاً ورقياً وبدأ
يعالج العلامتين السوداوين على جانبي الباب ليزيلهما ..

فما إن زالت العلامتان حتى أدرك أنه لا يرغب حقيقة فى
التجوال هذه المرة .. ستكون هناك مرة ملائمة وسوف
يجدها حتماً .. أما اليوم .. هو لا يرغب سوى فى الكتابة ..
وهكذا عاد بمقعده إلى داخل الغرفة وأغلق الباب خلفه ..

★ ★ ★

إنه منتصف أبريل

كومة الأوراق على يمين الآلة الكاتبة تتزايد .. من
الغريب أنه - قبل الحادث - كان يعتبر أن أقصى إنتاج له هو
أربع صفحات يومياً .. أما اليوم فهو يكتب اثنتى عشرة
صفحة يومياً ولقد بلغ عدد صفحات القصة مائتين وسبعاً
وستين صفحة حتى اليوم ..

كان السبب - كما أدرك - هو انتظام حياته وبعده عن
السفاسف .. لم تعد هناك جولات على الحانات ولا شقراوات
ولا سجانر .. فقط الـ (توفريل) .. ولعله الآن أكثر المدمنين
انتظاماً فى العالم .. المدمن الوحيد الذى يتعاطى المخدرات
بانتظام وبالساعة !..

كان يقضى الوقت فى الأكل أو النوم أو القراءة ، وكانت
(آنى) تملك المجموعة الكاملة لـ (سومرست موم) فاعتاد
(بول) قراءتها برغم أنه كان يظن أنه لن يقرأ أى كتاب

بانبهار منذ صار أديباً هو الآخر .. لكن (موم) اغواه
بقصصه المشوقة وأعادته إلى مرحلة البراءة الأولى ..
سمع صوت خطوات (أنى) الثقيلة على الأرض فرفع
رأسه ... ثدسلاش!.. ثدسلاش! وهنا فوجئ - مذعوراً -
بأنها لا ترتدى سوى خف واحد في قدمها .. رفع رأسه أكثر
فوجد أن شعرها مبعثر وعينيها زانفتان وثمة علامات
حمراء على خديها وذراعيها .. كما أن بقايا الطعام كانت
متناثرة على صدرها .

ودونما كلمة قذفت له بكبسولتي الـ (نوفريل) وعادت
تجر قدميها .. ثدسلاش!.. ثدسلاش!..

- « (أنى) !.. هل أنت على ما يرام ؟ » .

- « لا ! » .

واستدارت نحوه ، ودونما تغير يذكر في ملامح وجهها ،
رأها تعصر شفثها السفلى بين أصبعيها الإبهام والسبابة ..
في غل لوتها .. شدتها ، وإذا بالدم يسيل على ذقنها ..
وانصرفت دونما كلمة تاركة (بول) يحاول إقناع نفسه بأنه
حقاً رأى ما رأى ! ومن وراء الباب الموصد سمع صوتاً ..
صوت صفحات .. بالتأكيد !.. إن (أنى) جالسة وحدها في
الصالة تصفغ نفسها !

وهنا تذكر حقيقة عرفها من الأطباء النفسيين الذين
استشارهم يوماً ما في شأن إحدى قصصه .. حين تنزلق
الشخصية الاتيساطية الاكتئابية إلى ظلمات مرحلة
اكتئاب ؛ فإنها تعاقب نفسها في صورة صفعات ..
لدغات .. حروق بالسيجارة تحدثها في جسدها الخاص ..
كان هذا هو الحال مع (أنى) في هذه اللحظة ..

★ ★ ★

حين فتح عينيه - بعد غفوة قصيرة - وجدها واقفة
جوار فراشه .. كانت تمسك كوب ماء وباليد الأخرى
تمسك فأزاً ميثاً رمادي اللون .. هذا ليس كابوساً .. إنه
يوم آخر يعضيه في بيت المفاجآت مع (أنى) !.. نظر
لوجهها فأدرك أن حالتها قد ازدادت سوءاً عن الصباح ..
أدرك أنه يراها الآن دون أقتعة .. وأن هذه هي (أنى)
الحقيقية .. (أنى) الكامنة تحت الجلد .. وجهها الخالي
من التعبير يتدلى كقطعة من العجين ، وتنورتها مقلوية ،
وعلى وجهها مزيد من الكلمات وعلى ثوبها مزيد من بقايا
الطعام

في تودة رفعت جثة الغار وهمست :

- « إنها تأتي إلى المخزن حين تمطر السماء .. لكنها

تقع في المصيدة التي أعدتها لها .. » .

ونظرت للفأر وسالت دمعة على خدها :

- « يا لها من مخلوقات بانسة .. بانسة .. وكلنا مثلها .. كلنا فئران تعسة حبيسة في مصيدة لكنها تحسب أنها ترغب في الحياة .. » .

وضغطت على جثة الفأر ثم ألقتها في ركن الغرفة ومسحت يدها في الملاءة... ثم نظرت لـ (بول) في ترغيب :

- « إنه ينعم بالسلام الآن .. سأحضر بندقيتي يا (بول) فلربما كان العالم الآخر أفضل للناس والفئران سواء ! » .

لم يعد يشعر بقمعه .. احتبست الكلمات .. إنه لم يرها في هذه الحال قط .. بل لم ير أحدًا في حال كهذه من قبل .. لكنه فهم أن هذه أشنع حالات الاتحطاط المعنوي التي يبدأ بعدها المصابون في الاكتئاب في قتل المحيطين بهم... الاكتئاب وحده يجعل الناس ينتحرون .. فإذا خالطه الجنون بدأ المريض يحاول أن يخدم الآخرين ويأخذهم معه ...!

إنتى لم أكن في حياتى أقرب إلى الموت من هذه اللحظات .. لأن اللعينة تعنى كل حرف من كلامها .. يجب أن أقول شيئًا ..

- « (آنى) .. دعنى أنته من .. كتابة (ميزرى) .. إنتى أوافقك فى أن الدنيا قاسية بما يكفى وأن بها ألما كثيرًا ثم .. الأمطار .. لكم تضايقتى الأمطار .. لكنى .. أريد أن أرى كيف سينتهى الكتاب .. لن أموت مرتاحًا ما لم ... » .
تتهددت مفكرة :

- « حسن .. ربما كان ذلك صوابًا .. إن كتابك هو الشيء الوحيد الباقى لى فى العالم لأنطلع إليه .. لكنك لست أحمق يا (بول) .. أنت تعرف جيدًا أنك لن تخرج من هنا حيًا ...!.. سواء كان ذلك الآن أو بعد انتهاء الكتاب .. أعرف أنك تفكر فى الهروب لكنك لن تستطيع !.. » .

ثم إنها نهضت معلنة أنها ذاهبة إلى مكان خاص بها تعتكف به من حين لآخر .. وجواره وضعت كمية كبيرة من الـ (توفريل) لتسمد حاجته فى أثناء غيابها :

- « خذ كيسولتين كل ساعة .. عات أو ست كيسولات كل أربع ساعات أو خذ كل الكبسولات الآن ..!.. لا فارق .. » .
أراد أن يسأله عما سيأكله ، ثم عدل عن ذلك خشية أن يثير لديها شرة البقاء معه .. كان يريد أن تنصرف لأن وجودها أشبه بوجود ملك الموت ..

ظل راقدًا في الفراش يصغى لصوت حركاتها متوقِّعًا
في كل لحظة أن تغيّر رأيها .. وتقتحم الحجرة حاملة
البندقية ، حتى حين سمع الباب الخارجى يغلق لم يطمئن ..
فلترى ما كانت تخبئ البندقية في سيارتها الـ (شيروكى) ..
أخيرًا هدر محرك السيارة .. وسمعها تتحرك .. ثم
تبتعد ..

نظر إلى جثة الفأر المكومة في ركن الغرفة .. وصاح :
- « من زعم أنها لم تترك لى شيئًا يؤكل ! » .
وانفجر يضحك في هستيريا .. يضحك .. يضحك ..

★ ★ ★

بعد ساعة فتح (بول) باب الحجرة وخرج منه (للمرة
الأخيرة كما تعنى) .. هذه المرة كان مصممًا على الفرار ..
سيكون الطريق غارقًا في الوحل والظلام دامسًا والأمطار
غزيرة لكنه لا يعبأ بهذا كله .. إنها فرصته الأخيرة ..
خرج إلى الصالة .. الصالة التي كانت نظيفة في المرة
السابقة لكنها الآن مفعمة بالأطباق المتسخة ملقاة في كل
مكان .. وكلها بها بقايا حلوى .. أيس كريم .. قشدة ..

★ ★ ★

- « تنفس عليك اللعنة .. تنفس !.. » .

★ ★ ★

تذكر على الفور رائحة أنفاسها المشبعة بالحلوى إذ
كانت تحاول إفاقة من غيبوبته ، كانت هناك .. كذلك ..
زجاجات مياه غازية فارغة وواضح أنها كانت تجرع منها
بهدوء ملوثة بالكريمة ، وكانت بقع الآيس كريم متساقطة على
السجادة في كل مكان .. وعلى المائدة كان هناك كتاب
سميك مكتوب على غلافه (شارع الذكريات) .. اتجه إلى
باب المطبخ أملًا في أن يكون قابلاً للفتح .. لكن لا .. كان
الباب موصدًا بثلاثة أقفال من أجود الأنواع التي لا يمكن
فتحها .. وبالطبع كانت المفاتيح في جيب (انى) في مكان
اعتكافها ..

لم يكن باب المنزل الرئيسى أفضل حالًا .. وفي أعماق
(بول) بدأ الهلع يتزايد .. ماذا ستفعل بحق السماء ؟ .. إنها
لفرستك الأخيرة .. كيف ستخرج من هنا ؟
مذاق الدموع المالح يملأ فاه والموجودات تزوج ..
ولكن .. تعقل ! .. اهدأ قليلًا لتتمكن من التفكير يا أحمق ! ..
لن تموت قبل أن تعرف معجبتك رقم (١) مدى سعادتك
بلغانها ! .. ليس هذا وعدًا بل هو قسم مقدس ..
ما هي فرصته لو استطاع الخروج ؟ .. وسط الأمطار
والأوحال يجرّ مقعده إلى الطريق ثم ينتظر مرور سيارة قد
لا تمر أبدًا ..



الوجه بالمقعد إلى الصلاة ..

لشد انتباهه الكتاب السميك المعنون (شارع الذكريات)

لا شعورياً بدأ يبحث في المطبخ عن مأكولات يمكنه أخذها ولا تثير شكوكها .. ثم أدرك في مرارة معنى هذا : إن عقله الباطن قد نبذ فكرة الفرار .. قال لنفسه إنه نبذها مؤقتاً .. بل للأبد ! هكذا ردت نفسه في سخرية .. لن أياس أبداً .. هل تسمعين ؟ .. لن أياس ! ..

كان المطبخ مليئاً بالمأكولات كأنه سوپر ماركت صغير وإن كان تتساق أصناف الطعام يوحى بشيء ما .. كأنه خط الحدود بين (ولاية الواقع المستقلة) و (جمهورية بارانويا الشعبية) .. ولكن .. ليس الوقت مناسباً للتأمل .. هلم إلى الطعام .. هناك بعض علب السردين في كل علبه مفتاحها .. كذلك هناك علب يولوييف وأكياس من البطاطس المحمرة ..

لا يجب أن ينسى شيئاً لأن الحقيقة التي يجب أن يذكرها هي أنه يجازف بحياته في كل مرة يقارق حجرته فيها .. اتجه بالمقعد إلى الصلاة ..

فشد انتباهه الكتاب السميك المعنون (شارع الذكريات) على المنضدة .. فتح الكتاب بحذر فوجد في الصفحة الأولى قصاصة من جريدة تمثل صورة زفاف .. بتاريخ ١٩٣٨ والعروس تشابه صورة المرحومة أم (آنى) بشدة .. واسمها - كما ورد بالخبر - هو (كريسلدا بيريمان) .. اسم مناسب تماماً لقصص (ميزرى) ..

شعر (بول) بأمعانه تتقلص .. لماذا احتفظت (آنى) بالخبر ..؟ لقد كانت مجرد طفلة فى الحادية عشرة من عمرها .. ولكن .. لا يمكن أن

فى الصفحة الرابعة وجد (بول) خبراً آخر بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٦٢

طالبة تمريض تلقى مصرعها فى حادث

توفيت أمس (أندريا سانت جيمس) طالبة التمريض إثر نقلها إلى مستشفى (المواساة) فى (لوس أنجلز) .. وتقول زميلتها فى المسكن طالبة التمريض (آن ويلكز) إنها فى الحادية عشرة مساء سمعت صرخة فهرعت من غرفتها لتجد الآتسة (أندريا) وقد سقطت من على درجات السلم ولقيت مصرعها . وقد اتضح لها أنها تعثرت فى جثة قطهما الأليف المكومة عند أعلى درجة من السلم . وقد عجزت مس (ويلكز) عن تفسير سبب موت القط .

- « يا للسماء ! » -

همس (بول) فى سره وارتجفت يداه .. لكنه واصل تقليب الصفحات .. الأمر واضح تماماً .. أنت يا (آنى) سمعت القط ووضعت جثته فى موضعها عالمة بأن (أندريا) ستهبط الدرجات فى الظلام .. وستعثر ..

فى الصفحة الثانية كانت قصاصة جريدة بتاريخ ١ أبريل ١٩٤٣ تهنى الزوجين بميلاد طفلتهم (آنى ويلكز) .. أى أن (آنى) فى الرابعة والأربعين من العمر ، ولم يفقه أن يلاحظ أنها مولودة مع كذبة (ابريل) ..

كانت الريح تعصف بالخارج .. وقطرات المطر تصطدم بزجاج النافذة .. وكان (بول) مفتوناً غارقاً فى (شارع الذكريات) ..

الصفحة الثالثة كانت تظهر قصاصة جريدة .. فى أعلاها صورة لرجل مطافئ على سلم يحاول إطفاء حريق ، والخبر يقول :

خمسة يموتون فى حريق منزل

لقى خمسة أشخاص - أربعة منهم من أسرة واحدة - مصرعهم فى حريق مروع صباح الأربعاء فى شارع (واتش هيل) . منهم ثلاثة أطفال تتراوح أعمارهم بين الثالثة والثامنة ومعهم أبوهم . ويعتقد أن الحريق بدأ من شقة فى الطابق الثالث كان ساكنها (كارل ويلكز) وأسرته قد غادروها منذ أيام بسبب تصدعات فى جدرانها . وتقول السيدة (كريسلدا ويلكز) زوجته إنها حزينة على مصرع جيرانها لكن تحمد الله على نجاة أسرتها هى وطفليها . ويعتقد رجال الشرطة أن سبب الحريق هو تسلس سكير إلى الشقة حيث تسبب فى إشعال النار بعقب سيجارة . (أكتوبر - ١٩٥٤)

إنها جريمة كاملة يا (آنى) ولكن لماذا؟..

كان قد عود جزءاً من عقله على أن يفكر ويتكلم مثل (آنى) .. لهذا سأل هذا الجزء فشرع يجيب بالإجابات المتوقعة من (آنى) :

- « قتلتها لأنها ترفع صوت المذياع ليلاً .. » .

- « قتلتها بسبب الاسم المصغير الذى أسمت به القبط .. » .

- « قتلتها لأننى أدركت أنها تعسر فى اللعب .. » .

- « قتلتها لأتروا مانر شؤم و (معرفة) وتحب (العك) .. وهذا سبب كاف جداً فى رأىى » .

أصناف (بول) إلى الإجابات :

- « أو ربّما لأنها (تعطّ) كثيراً .. » .

وانفجر فى ضحكة عصبية هستيرية .. أية زهور مسمومة زرعتها (آنى) على جوانب شارع الذكريات هذا !..

لقد كانت بارعة حقاً .. وحتماً ستدفع ثمن جرائمها، لكن هذا لن يعزّيه فى شيء إذا ما كان قتل (بول شيلدون) هو آخر جريمة لها ..

بعد هذا نجد صورة تخرّج (آنى) كمرضة مؤهلة بتاريخ ١٩٦٦

فى الصفحة التالية وجد نوعياً لرجل اسمه (ارنست جوينار) فى الثانية والسبعين من العمر توفى فى مارس ١٩٦٩ .. ماعلاقة هذا ب(آنى)؟ .. ولكن .. ألا تفهم يا (بول)؟ .. هى قتلته !.. هذا هو المبرر الوحيد لوجود نعيه فى هذا الكتاب .. أليس هذا هو (سجل قتلى (آنى)!) وفى الصفحة التالية وجد نعى سيّدة اسمها (هستر بوليفان) توفيت فى مارس ١٩٦٩ أيضاً .. وفى نفس المستشفى .. مستشفى (سان جوزيف) ..

مزيد من الصور فى الصفحات التالية .. وكلها لأشخاص ماتوا فى نفس المكان (بعد صراع طويل مع المرض) ..

لقد فهمت .. لاداعى للمزيد .. هذا الكتاب سميك حقاً .. سأتركه حيث وجدته وأدخل إلى غرفة النوم وأخذ كبسولتين وأنعم بنوم هادئ .. أرجوك دع الكتاب .. دعه !..

لكن يديه كانتا تتصرفان وكأن لهما عقلاً وإرادة خاصين بهما ..، لم تصغياً لتوسلاته وواصلتا تقليب الصفحات ..

صورة لالتحاق ممرضة جديدة - هي (آنى) طبيعاً -
بمستشفى (ريفرفيو) .. وبعدها بدأت الوفيات تنهمر على
المستشفى البناس .. وكلهم ماتوا بعد هذا (الصراع
الطويل مع المرض) حتى كأنه وباء ..
حسن .. لقد قتلت زميلة غرفتها لأنها (مقرفة) ولكن ماذا
عن هؤلاء؟ .. كان الجزء الخاص بـ (آنى) فى عقله يعرف
الإجابة .. هي قتلتهم لأنهم مرضى وطاعنون فى السن ..
مجرد فئران فى مصيدة تحسب أنها ترغب فى الحياة ...!

★ ★ ★

« يا لها من مخلوقات بانسة .. بانسة ..! » .

★ ★ ★

فى الصفحات التالية تحركت (آنى) من (هارسبورج)
إلى (يتسبورج) إلى (دولوث) إلى (فارجو) إلى (دنفر) ،
وفى كل مرة يتكرر السيناريو .. تهنئة بانضمامها إلى
هيئة التمريض ، ثم عدة صفحات نعى لأشخاص كان
عندهم موعد فى (سمارة) (*) .. ثم ..
هل هذا هو صوت سيارة ..؟ كلاً .. بل هي الريح ..
بالتأكيد الريح ..

(*) يشير الكاتب إلى قصة (سومرست موم) : (موعد فى
سمارة عن الرجل الذى هرب من الموت قاصداً (سمارة) .. وهناك
وجد الموت ينتظره .

العام ١٩٩٢ تهنئة لـ (آنى) بمناسبة تسلمها لوظيفة
رئيسة تمريض لحضانة أطفال .. ثم بدأت وفيات الأطفال
تنهمر .. من الواضح أنها بدأت تراهم (مخلوقات
بانسة .. بانسة) .. لكن هذا الوضع لا يمكن أن يمر
بسهولة .. كانت فى البداية تقتل الشيوخ الذين لا تثير
وفاتهم الريبة .. أما الآن

التحقيق مع رئيسة تمريض فى حوادث

وفاة الأطفال حديثى الولادة

مصدر بالشرطة : نحن لم نوجه أية تهمة بعد

يتم الآن استجواب (آنى ويلكز) رئيسة التمريض فى
مستشفى (بولدر) (٣٩ سنة) فى وفاة ثمانية من الأطفال حديثى
الولادة فى غضون شهور . والجدير بالذكر أن جميع الوفيات
تمت فى ساعات وديتها . وقد صرح مصدر بالشرطة بأن
التحقيقات جارية لكنهم لم يوجهوا لها أية تهمة حتى الان .

بعد هذا جاءت عدة صفحات تحوى أخبار التحقيق
معها .. ثم قصاصات تحوى رسائل القراء وكلها تجمع
على أن (آنى ويلكز) يجب أن تشنق وأن تجلد بسوط
مشتعل .. بل إن الاسم الذى ألصقوه بها كان هو (المرأة
التنين) .. كلها أسباب كافية جداً لأن تعتبر (آنى) الجنس
البشرى كله جنساً من الفئران ..

كانت هناك أنباء عن المحاكمة لكن لم تكن هناك أدلة معينة سوى ثرثرة (أنى) فى محاولتها الدفاع عن نفسها .. كانت ترتكب أغلاطاً قاتلة حتى لتكاد تعترف ، ولا يد أن محاميتها كان على وشك إطلاق الرصاص عليها ليخرسها ..

ثم فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٨٣ تتصدر الجريدة العناوين التالية :

المرأة اللتين بريئة !

أصدرت المحكمة أمس حكماً ببراءة (أنى ويلكز) من تهمة قتل الأطفال الموجهة إليها . وقد صرح أحد المحلفين الذى طلب عدم ذكر اسمه أنه يشك كثيراً فى براءتها إلا أنه كذلك لا يملك أدلة تدنيها . وقال إنه يأمل فى إعادة محاكمتها على أن يقوى الإدعاء جانبها فى هذه المرة .

لقد فرت من بين أصابعهم !.. كلهم عرفوا أنها مذنبية لكنهم لم يستطيعوا إثبات ذلك .. على كل حال لقد أوشك الملف على الانتهاء ...

وهنا فوجئ بصورته على الصفحة الأخيرة !.. خيل إليه للحظة أن هذا هو نعيه ثم بدأ يفطن إلى أنه لم يمض بعد .. على الأقل حتى الآن :

كان الخير مقصوداً من جريدة (نيوزيك) .. يقول :

مفقود : (بول شيلدون) ٤٢ سنة .. كاتب قصصى اشتهر بسلسلته التى لا تنتهى ككفاح الصابون : (مزرى) . يبحث عنه وكيل أعماله وزوجاته السابقتان . شوهد آخر مرة فى (بولدر) بولاية (كلورادو) حيث ذهب لكتابة عمل جديد .

بعد أن فرغ (بول) من القراءة ؛ أحس بحاجة ماسة ليس للدواء فحسب بل للرحيل بعيداً عن كل شيء .. كان كل جزء فى جسده وروحه يتألم .. وفى تناقل أعاد الكتاب لموضعه وبدأ يحرك المقعد إلى غرفة النوم مصغياً لهزيم الرعد وصوت الأمطار .

لن تهرب يا (بول) ولن ينقذك أحد .. إن الفارس المقنع مشغول الآن فى الإعلانات التليفزيونية و (سوبرمان) يمثل أفلاماً سينمائية .. أنت وحيد يا (بول) .. بلا سند ولا صديق .. لو أنك أردت الفرار من هنا فلامفر من قتل (أنى) !.. لا حل آخر !.. وهأنذا تعود إلى اللعبة القديمة : هل تستطيع ؟..

نعم .. نعم .. أستطيع

★ ★ ★

ظلت العاصفة مستمرة طيلة اليوم التالي ..
تجمد العالم الخارجى تماما .. وكانت الخنزيرة
(ميزرى) تصرخ والأبقار تخور فى الحظيرة .. لم يحتج
أن يكون فلاحا ليعرف السبب .. الأبقار انتفخت ضروعها
وتريد أن تحلب .. أما الخنزيرة فتتضور جوعا ..
لا أمل لهذه الحيوانات العجماء اليوم .. فـ (أتى) لن
تستطيع العودة فى هذه العاصفة حتى لو أرادت .. شعر
بحقدات على (أتى) التى تعذب بأنانيتها هذه الأكباد
الرطبة ..

أما عنه هو فقد كان يعيش أسعد أيامه .. يأكل السردين
ويشرب الماء ويتناول الدواء ويكمل قصة (ميزرى) التى
- لدهشته - بدأت تسفر عن أفضل ما كتبه فى حياته ..
كانت (ميزرى) - بعد شفائها - توشك على السفر إلى
(إفريقيا) مع (إيان) إلى حيث توجد قبيلة متوحشة اسمها
(البوركاس) أو (قبيلة النحل) .. وهم يعبدون صنفا
عملاقا يسمونه ملكة النحل تحوم حوله ملايين من
الحشرات - النحل الأبيض - تلدغ من يدنو من ملكتها بسم
زعاف .. وبالطبع لم يعد أحد حيا من هذا المكان كما هى
العادة .. وحين يفرغ من الكتابة كان يضع الخطط التى
يقتل بها المرأة التتين .. يستطيع مثلا أن يدس لها عدة

كبسولات (نوفريل) فى علبة من الأيس كريم وما إن
تتناوله حتى تغيب عن الوعى .. ولكن لا .. إن
الـ (نوفريل) مرّ المذاق .. وستتعرف طعمه حتما ..
عندئذ .. الويل لك يا (بول) !.. الويل لك ..

فكر كذلك فى وضع جسم ثقيل - كالآلة الكاتبة - على
الباب من أعنى ليهوى فوق رأس (أتى) عندما تدخل،
أو فى مذسك رفيع عبر درجات السلم لتتعثر فيه .. لكنه
فى كل مرة لم يكن واثقا بأنه سينجح .. وهو لا يجرؤ على
التفكير فيما يمكن أن يحدث له بعد فشله فى محاولة
اغتيالها ..

وهكذا أغمض عينيه وغرق فى عالم النعاس ..
غرق فيه إلى حد أنه لم يدر متى عادت السيارة
الشيروكى حاملة (أتى) ، كان ذلك فى الرابعة صباحا ..
ولم يدر أنها دخلت الغرفة ووقفت تتأمله .. لم يدر سوى
بوخزة الإبرة حين غرستها فى ذراعه ..

★ ★ ★

٦ - العقاب ..

في البدء حسب أنه يحلم بعوالم قصته .. وأن الظلام هو
ظلام الكهوف التي يعيش فيها الـ (بوركاس) .. وأن
الوخزة هي لدغة نحلة ..

- « (بول) ؟ » .

عندئذ فهم أن هذا هو صوت (أني) نفسها .. ففتح
عينيه .. كان عاجزاً عن استجماع تفكيره .. واقفة جواره
تردى السويتر الصوفي حاملةً محقناً .. لقد حقنه الصنم ..
ولكن بماذا ؟ ..

حاول أن يرفع نراعيه دون جدوى .. كأن هناك أثقالاً
تتلى منهما .. لا يهم أن تعرف ما حقنتك به .. أنه نوع من
كلمة (النهاية) التي تختتم بها قصصك .. لم يشعر بذعر
من أي نوع .. لقد فعلتها أخيراً ..

سمع (أني) تهتف :

- « عينك الزرقاوان يا (بول) .. ما أجملهما ! .. أظن
أن نساء كثيرات قلن لك ذات الشيء .. نساء أكثر جمالاً
منى .. وأكثر جرأة ! » .

وجلست على طرف الفراش ترمقه وتبتسم ..



ولم يدرك أنها دخلت الغرفة ووقفت تتأمله .. لم يدرك سوى بوخزة
الإبرة حين غرستها في ذراعه ..

آه يا (بول) !.. إنها نهاية آمك .. كل حياتك كانت تمهيداً لهذه اللحظة .. والآن سيتقل جفناك وتغوص في غيبوبة عميقة .. علبة ثقاب .. سيارات سريعة .. (ميزرى) .. ملكة النحل

سألت (آنى) :

- « والآن يا (بول) .. هل تريد الأخبار الطيبة أم السيئة أولاً ؟ » .

- « الأنباء الطيبة أولاً .. للأسف أعتقد يا (آنى) أنك لم تحبى الكتاب .. » .

- « بالعكس .. أنا لا أكذب أبداً وقد قلت لك إننى أهيىم به .. وسأنتظر نهايته فى شوق .. » .

كان الجزء الأخير الباقي حياً فى عقله يفكر .. معنى هذا أنها لن تقتلك الآن كما تصورت .. وإذا كان فهمك لـ (آنى) سليماً فإن هذا يعنى أنها أعدت لك مفاجأة أسوأ من الموت !..

قالت (آنى) مبتسمة :

- « الأخبار الطيبة هى أن سيارتك قد ذهبت .. كنت قلقة بشأنها وكيف أتخلص منها .. وكنت انتظر عاصفة كهذه كى أحاول إخفاءها .. لكن العاصفة كانت أشد من توقعاتى .. وحدث انهيار جليدى أخفى كل أثر لها .. لقد اختفت سيارتك تماماً وهذا هو النبأ الطيب ! » .

وابتسمت ابتسامة أكثر قسوة وأردفت :

- « أنت تعرف من مذكراتى أننى لم أحاول إخفاء جثة ولا سيارة من قبل !.. لا تتظاهر بالسذاجة يا (بول) .. أنت قرأت (شارع الذكريات) .. ومن يدرى ؟.. أظن أننى كنت أتمنى ذلك .. وقد أدركت أنك قرأته حين وجدت الخيوط ممزقة ! » .

همس فى اعياء :

- « خيوط !؟ » .

- « نعم .. الحيلة القديمة .. إذا أردت أن تعرف ما إذا كان هناك من يعبث بأدراجك فعليك أن تثبت خيطاً رفيفاً على كل درج .. فإذا ما وجدت الخيط مقطوعاً اتضح الأمر .. وقد فعلت نفس الشيء مع كتابى مستعملة شعيرات دقيقة من رأسى ثبتتها فى ثلاثة مواضع ، وحين عدت فجر اليوم زحفت كفأر صغير لأرى .. فوجدت الخيوط كلها ممزقة .. » .

وابتسمت ابتسامة مظفرة بها شيء ما لم يرتح إليه .. وأردفت :

- « لم أندش لأننى أعرف جيداً أنك تغادر الحجرة .. أعرف هذا منذ زمن بعيد .. بعيد ! » .

لم يثر كلامها اهتمامه .. بل إنه لم يعد يشعر بذرة قلق .. كل ما يريده هو أن يذوب في ضوء النهار الصافي الذي بدأ يغمر الحجرة .. لقد كانت تعرف كل شيء من البداية ...

- « كانت المرة الأولى عندما تركتك حائقة لأحضر الأوراق .. أليس كذلك ؟ » .

- « بلى يا (أنى) .. » .

لم تكن هناك فائدة من الإنكار ..

- « كنت تريد الدواء .. وكان ينبغي أن أخمن أنك ستفعل أى شيء من أجله .. لم أكن واثقة في البداية .. خيل لى أن هناك أشياء تغير موضعها على المنضدة في قاعة الجلوس .. ثم قلت لنفسى إن هذا مستحيل .. فأنت مصاب والباب موصد بعناية إذن لا بد أننى من فعل هذا ونسيت .. إلا أننى دخلت الحمام المجاور لغرفتك لأعيد تأمل عينات الدواء التى اختلستها من المستشفيات حينما كنت ممرضة ، فما إن رأيتها حتى أدركت أن محتوياتها تحركت من أماكنها .. وعندما حاولت فتح باب حجرتك خيل لى أن شيئاً يعوق حركة لسان القفل من الداخل .. لهذا - فى المساء - أعطيتك منوماً قوياً .. وأحضرت مفكاً فككت به القفل فوجدت به هذا ... » .

كان الجزء الملتوى من دبوس الشعر على كفها ..
الدبوس الذى تحطم داخل القفل وعجز (بول) عن إخراجة ..

انفجر (بول) يقهقه فى هستيريا ..

كل هذا الحذر .. والقلق .. والتوتر من أجل لا شيء ..
شيء مضحك ! ..

★ ★ ★

- « كم مرة غادرت فيها الحجرة يا (بول) ؟ » .

- « مرتين .. لا .. بل ثلاثاً .. أمس غادرت الحجرة

لأملأ دورق الماء من المطبخ .. » .

- « قل الحقيقة يا (بول) .. »

- « ثلاثاً وأقسم على هذا ولم أحاول الهرب قط .. إننى

أرغب حقاً فى إتمام الكتاب :. » .

كان صادقاً بخصوص عدد المرات .. لكنه - فى المرة

الثالثة - لم يذهب للمطبخ بغرض ملء دورق الماء .. بل

لإحضار سكين كبير يخفيه تحت المرتبة منتظراً اللحظة

الملائمة التى تتحنى فيها على فراشه كى

- « وتحاول إقناعى بأنك لم تجرب الهاتف ولم

تتفحص الأقفال لأنك ولا طبيب برىء .. هه ؟ » .

كانت أمواج المخدر تتزايد .. وإرادته تتخلى عنه ..
الواضح أنه سيقول الحقيقة مرغماً .. فقط لتتركه ينص
قليلاً ...

- « أنت تحسبني حمقاء يا طائر الشؤم !! » .

لم تكن هناك مسام في جلدها اللامع .. كأنه غطاء من
شمع مشدود فوق صخرة .. أقسم لك يا (أنى) - يا صنم
الـ (بوركاس) - إتنى صادق ..

- « كل الكذابين يحبون أن يقسموا! .. استمر في
كذبك .. دعنى أصارك يا أبله بأتنى شددت خيوطاً في كل
مكان من المنزل .. وقد وجدتها كلها ممزقة !! .. في
الصالة .. في غرفة نومى بالطابق العلوى .. في
الحديقة .. كلها ! » .

كيف تتصور هذه المرأة أنك قادر على الصعود للطابق
العلوى أو الخروج للحديقة ؟ .. إنها مخبولة تماماً .. حالة
(بارانويا) متقدمة ..

- « إتنى لست عمياء .. إن قدميك تتحسنان ..
وبإمكانك الآن أن تمشى أو على أقل تقدير ترحف .. قل لى
كم مرة !؟ » .

- « ثلاثاً ... » .

- « أول مرة للحصول على (نوفريل) .. والثانية من
أجل الطعام ..؟ » .

- « نعم ... » .

- « والثالثة لتعملاً دورق الماء ..؟ » .

ثم إنها مدت يدها إلى جيب مريولتها وأخرجت السكين ! ..
كان النصل يلتصق فى ضوء النهار بوضوح تام ..

- « لقد بحثت تحت المرتبة بعناية قبل أن أعطيك حقنة
التحضير .. ففوجئت بالسكين ! .. ستزعم طبعاً أنك لم
تضعه هناك ؟ » .

كان ذهنه يدور ويخلق كأرجوحة محطمة .. حقنة
تحضير ..؟ لماذا !؟

- « ستزعم لى أنك خرجت مرة من أجل الدواء ومرة
من أجل الطعام ومرة من أجل الماء .. أما هذه السكين
فطارت إلى هنا وأخفت نفسها ! .. » .

حقنة تحضير ؟ .. يا إلهى .. هل هذا ما قالته ؟ ..
صرخ فى هستيريا :

- « ليكن ! .. إذا أردت أن أعترف بمغادرتى الغرفة
خمس مرات فليكن .. خرجت خمس مرات .. إذا أردت
عشرين .. مائة .. فليكن ! .. » .

ردت عليه فى هدوء :

- « إنك عنيد يا (بول) .. لكن دعنى أقل لك إن المبدأ
لا يتغير سواء خرجت مرة أو مرتين أو ثلاثاً .. وكذلك
الاستجابة لا تتغير .. » .

كان صوتها يأتيه من بعيد .. من فوق السحب .. وفي داخله أيقن أنها صنم الـ (بوركاس) يتحدث إليه من وراء الطبيعة ..

- « هل سمعت عن الأيام الخوالي في مناجم الماس - (كيميرلي) يا (بول) ؟ » .

- « » .

- « أحيانا كان بعض العمال يسرقون الماس .. ويحاولون الفرار ، وهل تعلم كيف كانت السلطات البريطانية تتصرف إذا ما أُلقت القبض عليهم ؟ » .

قال وعيناه مغلفتان :

- « تقتلهم على ما أظن ؟ » .

- « كلاً ..! هذا يشبه تحطيم سيارة غالية لأن بها يابا مكسورا .. كانوا يحاولون المحافظة على قدرتهم الإنتاجية وفي نفس الوقت يحاولون منعهم من الهرب مرة أخرى ..! وهذا هو ما أتوى عمله معك يا (بول) .. هذا لمصلحتك ومصلحتي على السواء .. مجرد ألم بسيط ثم ينتهي كل شيء ! » .

مدت يدها تخرج شيئاً من تحت الفراش ...

كان هذا الشيء قاساً ...

★ ★ ★

هز (بول) الآلة الكاتبة في عصبية فتدحرجت منها قطعة معدنية صغيرة على اللوح الخشبي .. كان هذا هو الحرف (ت) ...

فكر في ضيق : يجب أن أشتكى للإدارة! .. لم لا تشتري لي هذه المرأة آلة كاتبة جديدة؟! .. أنا واثق أن لديها المال .. لقد فقدت حرف (ت) يا إلهي .. ثانياً الحروف أهمية في اللغة الإنجليزية! ..

لكنه - في أعماقه - كان يعرف أنه لن يجروا على طلب شيء من (آني) .. كان هناك في الماضي السحيق رجل يدعى (بول شيلدون) .. هذا الرجل كان يملك الجراة على المحاولة .. على تحدى (آني) ..

لقد ولى هذا الرجل بعيداً .. كانت له مزيتان هامتان يتفوق بهما على (بول) الحالي .. كانت له قدمان .. وكان له في يديه إبهامان ..!

غد للعمل يا صديقي ..

لا تحاول استفزازها ..

كان النحل ينز خارج النافذة .. فهذا هو أول أيام

الصيف ..

★ ★ ★

لماذا لم يستطع نسيان ما حدث له ؟

كان يعرف دائماً أن ضحايا حوادث السيارات يرددون
نوماً عبارة واحدة: «أذكر أنني كنت في السيارة ثم وجدت
نفسى في المستشفى.. كل ما عدا ذلك قد انمحي من ذاكرتى
تماماً..

إذن.. لماذا لا ينسى هو...؟

لأنه كاتب.. والكتاب لا ينسون شيئاً.. «الأدب هو
خلود الذكريات».. ترى من قائل هذه العبارة؟.. ربما
(فوكنر) أو (زاس).. لا يهم..
فقط.. غصن في السحابة.. غصن..

يومها - في الكلية - اتصلت به أمه في الثالثة صباحاً
لتصرخ: تعال بأسرع ما تستطيع يا (بول).. إن أباك قد
أصيب بنوبة.. إنه يغوص!.. يذكر رحلته الملهوفة في
الشوارع بسيارته انفوردد ليجد أباه قد كَفَّ عن الغوص..
لقد غرق في بحر الذين لا يعودون....

غصن في السحابة.. غصن.. أصوات طبول قبائل
الـ(بوركاس) وأزيز النحل والصنم الذى يرمق الجميع
بعين حازمة.. (أنى) تشبه الصنم..

كانت تعنى به بسخاء.. وتبدل الضمادات حول أطرافه
المبتورة كل ثماني ساعات.. ولم يكن يعرف أنه اقترب
كثيراً من الموت في الأيام الأولى من (الجراحة).. وأن
(أنى) كانت مذعورة بحق..

كانت قد قرأت الثلاثمائة صفحة التى كتبها قبل
الجراحة.. ويبدو ثابتة استكملت له كل حروف الـ(ن)
الناقصة.. كأنها تقول له: كيف تنتهمنى بالقسوة يا (بول)
في حين ترى أنني كتبت لك كل حروف النون الناقصة؟!
من العجيب أتيه - في أسوأ لحظات المرض - ظل يتوق
إلى النهوض لاستكمال القصة.. كان يجن كي يعرف
ما ستنتهى إليه الأحداث..

ظلت في ذهنه صورة المشهد الأخير من القصة..
(ميزرى) مقيدة إلى شجرة تحتشد على جسدها ملايين
مؤلفة من النحل، في حين يقف (أيان) عاجزاً عن
التصرف.. لا يمكن أن يحدث صخباً وإلادغها النحل..،
طبول الـ(بوركا) تدق بنغم رتيب.. وهو يعرف جيداً أنه
حين تكف الطبول عن الدق سيلدغ النحل (ميزرى)..
وهنا تصمت الطبول..

كان راغباً في معرفة النهاية.

وكذا كانت (أنى)..

إنه يلعب دور (شهرزاد) لكليهما، عالمًا أن قصته هي
الشيء الوحيد الذى يمنعها من قتله وقتل نفسها..
وفى ذلك اليوم كان غارقاً فى دوامة الآمه وأفكاره حتى
أنه لم ير الشيء الذى توقف فى الغناء الخلفى قرب سيارة
(أنى)..

وحين رآه فكر في البداية أنه شبح أو سراب ..
كان ذلك الشيء سيارة شرطة ...

★ ★ ★

اصرخ عليك اللعنة !.. اصرخ !..

حاول أن يفتح فاه لكن الذعر كان أقوى منه .

حاول أن يرفع يديه لكنه لم يجزؤ حتى لا تغضب ماما
(أنى) منه ..

كانت كل سيطرته على مصيره هي صوت أنين من بين
شفتيه ويضع ضربات خرقاء على جانبي الآلة الكاتبة ..
لم تستمر المعاناة سوى خمس ثوان لكنها بالنسبة
لـ (بول) استمرت دهوراً .. كان خلاصه هناك .. في ضوء
النهار، وكل ما عليه هو أن يهشم الزجاج ويحطم القفل
الذى وضعته الشيطانة على لسانه .. ويصرخ :

- « الغوث !.. أغثنى من (أنى) !.. أغثنى من الصنم ! » .
لكن - في ذات الوقت - كان صوت آخر يردد داخله :
- « سأكون ولداً طيباً يا (أنى) .. لن أصرخ .. سأكون
طيباً .. فقط لا تقطعي جزءاً آخر من جسدي ! » .

لم يدر قبل الآن إلى أية درجة استطاعت (أنى) أن تدمر
شجاعته وشخصيته .. كان يعرف أنه يموت ببطء ولم يثر
هذا قلقه .. ما أثار قلقه هو إدراكه أنه (يبهت) كذلك ..
ببطء يفقد كل سماته المميزة وكل لون له ..

كان الشرطي يغلق باب سيارته ويهندم قبعته .. شاب
في الثانية والعشرين من عمره يرتدى منظاراً أسود براقاً ،
ثم إنه توقف ليسوى تجاعيد زيه الخاكي اللون ..

لن تصرخ يا (بول) .. بل اصرخ .. كلاً .. لا تصرخ ..
اصرخ !..

لا .. هذا الشرطي الطفل لا يقدر على مواجهة صنم
(بورحاس) .. مستحيل .. هو ذا الشرطي يرنو للبيت ..
لم يكن (بول) قادراً على رؤية عينيه خلف المنظار الأسود
لكنه أدرك من الطريقة التي أمال بها رأسه أنه مندهش إلى
حد ما .. هو ذا يقترب .. يتصلب ..

مدّ (بول) يده إلى مظفاة سجائر ثقيلة موضوعة جوار
الآلة الكاتبة كان يضع فيها دبائيس الورق .. أمسكها
وقذف بها نحو النافذة .. تهشم الزجاج .. صوته العالي
بدأ لـ (بول) وكأن العالم كله يتهشم ..

- « الغوث !.. هلم هاهنا !.. احترس من المرأة !..
إنها مجنونة ! » ..

رفع الشرطي عينيه نحوه وفقر فاه ..
مدّ يده لجيبه وأخرج شيئاً لا بد أنه صورة
فوتوغرافية .. نظر لها ونظر نحو (بول) .. ثم صاح :
- « اللعنة !.. إنه هو ! » .

كانت هذه آخر ثلاث كلمات سمعها (بول) من الشرطي ..
بل آخر ثلاث كلمات لفظها الشرطي في حياته ..

★ ★ ★

٧ - الكابوس ..

لم ير (بول) (آنى) إلا بعد قوات الأوان ..
وحين رآها كانت قد تحولت إلى صنم حقيقى .. إلى
وحش خرافى من الأساطير الإغريقية ..
كانت تحمل فى يدها عصا معدنية ثقيلة تصوبها إلى
ظهر الشرطى ..

- « خلقك ! .. احترس ! » .

صرخ (بول) عالماً أنه قد تأخر كثيراً ..
وفى الثانية التالية هوت (آنى) على رأس الشرطى
بالعصا المعدنية فسقط أرضاً .. بدت (آنى) كأنها تحاول
قتل مصاص دماء فى أحد أفلام الرعب ..

- « (آنى) ! .. كفى ! » .

صرخ (بول) متوسلاً فرفعت عينيها نحوه .. شعرها
منتثر حول وجهها .. وعلى سحنتها ملامح مجنون لفظ
أخيراً كل القيود ..

★ ★ ★

أغمض (بول) عينيه وأدرك أنه لم يبق أمامه من خيار
سوى أن يقتل نفسه .. نعم .. هذا هو الحل الوحيد الباقى له
كى ينجو من غضبها ..



أمسكها وفدق بها نحو النافذة .. تهشم الزجاج .. صوته العالى
بدا لـ (بول) وكان العالم كله يتهشم ..

سمعها تفتح باب غرفته، ورأى حذائي رعاة البقر
اللذين ترتديهما .. والسروال الجينز الذي تلتطخ بالدماء
تتدلى سلسلة المفاتيح من حزامه ..
همست في غلّ :

- « سأصرف معك فيما بعد ...! » .

وأعدت إغلاق الباب وسمع المفتاح يدور فيه محكمًا
حصار (بول) ..

نظر من النافذة إلى المشهد .. بدا له جسد الشرطي
كدمية كبيرة عيث بها مجموعة من الأطفال القساة ..
شعور عات من الشفقة يمزق فؤاده لكن شعورًا آخر
يخالطه : الحسد !...، على الأقل لقد أقلت هذا الشرطي
البائس من (أنى ويلكز) !..

كانت منهمة في نقل الجثة وتنظيف الفناء من آثار
الدماء وقد لوث العرق قميصها، ثم إنها عادت إليه حاملة
شيئًا ما .. مطفأة السجائر التي رماها من النافذة .. قالت له
في انهماك ..

- « ها هي ذى يا (بول) .. سأجمع دبابيس الورق فيما
بعد .. » .

ثم نظرت له نظرة ذات معنى :

- « أنت تعرف أننى لم أقتله .. » .

- « (أنى) ... » .

- « أنت من فعل هذا .. لو أنك التزمت الصمت لكان
حيًا وعانداً لأولاده الآن ولما ترك لى كل هذه القذارة
(المقرفة) لأنظفها ! » .

احتشدت السبّة على شفّتيه فلم يستطع منعها :

- « أيتها الذئبة !! » .

ابتسمت في رقة .. وغمغمت :

- « ذئبة مجنونة .. أليس هذا ما تريد قوله؟ .. حسن ..

سننحدث عن هذا فيما بعد .. سننحدث كثيرًا .. أما الآن فأنا
مشغولة تمامًا كما ترى .. » .

وتركته إلى حيث مسرح الحادث لتعكف على تنظيف
الدماء بخرطوم مياه ..

كانت الساعة تدنو من السادسة مساء حين قادت سيارة
الشرطة لتخفيها في الجرن .. فكر (بول) : إن لها حظ
الشیطان .. ولها براعته .. اتما شيطانة حقيقية ..، وحين
سمع صوت كعبيها يقرّبان من الباب .. وإذ سمع صوت
المفتاح يدور في "الحل"؛ قال لنفسه : لقد جاء دورى ..
وفى أعماه شعر بإحساس عميق من الخلاص

★ ★ ★

كانت قد ارتدت ثياباً نظيفة وعلى كتفها تتدلى حقيبة كبيرة خاكية اللون .. قال لها فى إنهاك :

- « حسن يا (أنى) .. لقد انتهت اللعبة .. اقتلبنى ولكن بسرعة .. » .

- « إن مصلحتى هى قتلك .. لكنى مجنونة - أأست كذلك ؟ - ولهذا لا أفعل ما يتعلق بمصلحتى .. سأتركك حياً يا (بول) .. » .

كانت أشعة الشمس الذهبية تتحدر داخل الحجرة على حين بدأ صوت صراصير الحفول يتعالى من بعيد .. الصوت الذى كنت تحبه وأنت طفل حر لم يؤذه أحد ولم يتلوث .. كاد يبكى من فرط التأثر ..

أحس بها تدفع المقعد خارجة من الحجرة .. متجهة إلى بديوم المنزل .. نظر إلى وجهها فرأى أنها - بعد قتلها الشرطى - قد عادت إلى التعقل قليلاً وإن بدت متعجلة كأنها امرأة تعد العشاء لمأدبة فى دارها ..

ثم إنها أخبرته بأن عليه أن يتعلق بعنقها من الخلف لأنها ستنزله به درجات السلم :

- « لا تحاول أن تعمل عملاً أحمق يا (بول) كأن تحاول خنقى .. لقد تلقيت درس (كاراتى) وكنت بارعة جداً فيه ! » .

نهض (بول) متحاملاً على قدميه الهزيلتين ، أو ما تبقى منهما .. وتعلق بعنقها ، فحملته على ظهرها نازلة الدرجات .. ثلاثة مصابيح خافتة ونسيج عناكب قديم ورائحة عطن ورطوبة .. رائحة العرق المنبعثة من إبطيها مع رائحة قذارة لم تعرف الصابون منذ دهور .. ثمعة شمع أسود يسد أذنها فلا تعرف كيف تستطيع السمع .. أخيراً وصلا للبديوم ..

وعلى مرتبة قديمة أنزلته .. ثم مدت يدها للحقيبة وأخرجت .. إبرة ومحقناً !!

- « لا ! » .

صرخ متوسلاً متوقفاً ما سيحدث بعد ذلك - مثل ذلك اليوم - لكنها طمأنته :

- « لا تخف يا (بول) .. إن هذا (سكوبولامين) وهو من مشتقات المورفين .. أعدتها لك فى حالة ما إذا اشتد بك الألم بسبب الرطوبة قبل أن أعود إليك .. » .

وتركته بضع دقائق ثم عادت إليه بوسادتين ويطانيتين و .. بعض علب المياه الغازية ، ونسقت له الفراش ثم فتحت له علبة ولها علبة ..

- « (بورب) ! » - تجشأت بعد أن فرغت من علبتها - « والآن يا (بول) حان وقت الكلام ! » .

- « آتى) .. حين شمتك لم أكن » .

- « شش !.. ولا كلمة !.. إن السيد عبقرى على حق دائماً ولا يحق لأحد أن يحاول تبديل أفكاره .. دعنا من هذا ولنتكلم فى موضوعات جدية .. لو أن أحداً لم يأت للبحث عن هذا الشرطى خلال ساعة سنتون فى أمان لأن الظلام سيحل بعد ساعة .. أما لو جاء أحد قبل ذلك ... » .
ومذت بعدها إلى الحقيبة وأخرجت مسدس الشرطى الذى قتلته .. وأردفت :

- « عندئذ .. هناك هذا لمن بجىء .. ثم يأتى دورك .. فدورى .. » .

★ ★ ★

كان عليها - حين يحل الظلام - أن تقود سيارة الشرطة أربعة أميال إلى مكان يصلح لإخفائها .. ثم تعود بالدراجة التى ستضعها فى مقعد السيارة الخلفى برغم أنها وثيقة بأن هناك احتمالاً لا بأس به فى أن تسقط ويتحطم عنقها (المقرف) ..

أدرك (بول) أن هذا لو حدث فلن يبقى أمامه سوى أن يموت جوعاً وظماً .. ثم تلتهم الفئران جثته .. الفئران التى بدأت من الآن تتحرش بهذا الزائر الذى يمشى على قدمين ..

كان البدروم محكم الإقفال بالمزليج والأقفال مستحيلة الفتح ..

وبدأت (آتى) تشرح خطتها لـ (بول) ، ستوارى جثة الشرطى التراب ثم تعود .. ولنن سألها أحدهم عن المكان الذى ذهبت إليه فى هذه الليلة ستقول إنها ذهبت لترى معرض السيراميك فى مدينة مجاورة اسمها (ستيمبوتس هيفن) ..، كانت تعلم جيداً أن الشرطة وجدت سيارة (بول) ماداموا يبحثون عنه فى هذا المكان بالذات .. ومادامت معهم صورته ..

أصغ إليها يا (بول) وتعلم .. إنها تلعب لعبة (هل تستطيع؟) فى الحياة الواقعية ، لهذا لا تكتب (آتى) قصصاً .. لأنها لا تحتاج إليها ..

كانت (آتى) تعرف أن رجال الشرطة أتون لا محالة بحثاً عن زميلهم المفقود .. لكنهم - على الأقل - لن يأتوا هذه الليلة ، فقط سيتتبعون مسار سيارته .. ترى هل بدأت تفهم إلى أى حد اقتربت اللعبة من نهايتها؟ ..

- « سيسألوننى عن الشرطى وسأقول لهم إنه مرّ بالمزرعة وسألنى عن صورتك ، فقلت له إننى لم أرك قط وقعدت له علبة من المشروبات الغازية وأنه شكرنى وانصرف ، ولمسوف ألقى هذه العلبة بعيداً عن المزرعة بعد أن أطع بصمات يديه عليها .. فكرة رائعة .. أليس كذلك ؟ » .

والتمعت نظرة شيطان يحلم في عينها .. واستطردت :
 - « سيكتفون بهذا الأثر مؤقتًا ويبحثون بعيدًا ..
 إلا أنهم بعد فترة سيرون من الحكمة أن يعودوا إلى ليبحثوا
 بدقة أكبر .. فأنا مخبولة تمامًا .. أليس كذلك ؟ ..
 سيقررون وقتها أن يفتشوا البيت .. وعندئذ سيفرون كل
 شيء .. كل شيء ... أعتقد أن هذا لن يتم قبل أسبوع لهذا
 لديك وقت كاف للكتابة يا (بول) لكنني أنصحك بأن تزيد
 سرعتك في التأليف قليلًا ! » .
 ابتسم (بول) في مرارة :
 - « أنا نفسي متشوق لمعرفة نهاية القصة ! » .
 - « أحمًا لا تعرفها ؟ » .
 - « بتاتًا .. أنا أعرف تمامًا كيف ستنتهي قصتي
 وقصتك ، لكنني أجهل كل شيء عن نهاية قصة
 (ميزرى) .. سأكتب كلمة (النهاية) وعندئذ تكتبين أنت
 كلمة (النهاية) الخاصة بحياتي .. » .
 - « على كل حال لقد أوشكت القصة على الانتهاء ..
 أليس كذلك ؟ » .
 - « بلى .. أوشكت على الانتهاء ... » .

★ ★ ★

قبل أن تتركه طلب منها أن تحضر له ماتم كتابته
 و (بلوك نوت) ليتمكن من مواصلة الكتابة بخط اليد ..
 لكنها أبت ذلك ..
 - « هذا يعني أن أضء لك مصدر ضوء وهذا مائن
 أسمع به .. » .
 وعلى الفور رأى (بول) نفسه وحيدًا في الظلام اندامس
 بينما الفئران تدنو منه وقد استشعرت عجزه .. شعر بجلده
 يغدو خشنًا كجلد الإوزة من الرعب ..
 - « (آني) .. أتوسل إليك .. لا تتركيني في الظلام » .
 - « لن أجرو على ذلك .. فلو أن أحدًا رأى الضوء أتيا
 من البدروم لجاؤ يستقصي .. ولا أستطيع أن أعطيك
 بطارية تحاول إرسال إشارات بها .. كما أن الشموع قد
 تفريك بحرق المنزل .. حاول أن تتماسك وتذكر أنك السبب
 في كل هذا .. » .
 - « الفئران .. (آني) !.. الفئران » .
 قال وقد وصلت لأعلى درجات السلم :
 - « ربما حسبتك الفئران واحدًا منها .. وربما
 تبنتك !.. هي هي هي هي ! » .
 سمع صوت أزرار الكهرباء تطفأ .. سمع صوت
 ضحكها .. رأى الظلال تزحف نحوه .. سمع صوت الباب

ينفلق .. أفعال .. مزاليج .. صوت ضحكها ما زال يتردد من
خلف الباب حيث ما زال هناك ضوء .. باب آخر ينفلق ..
وحتى حين سمع صوت السيارة يتحرك كان بوسعه أن
يسمع صوت ضحكاتها .. تتردد .. تتردد ..

★ ★ ★

الظلام الدامس ...
والصوت الذي يخشاه .. صوت الفئران المتسللة
الخفيض ..

لكن الفئران لم تكن سبب ذعره .. بل رجل الشرطة ! ..
ها هو ذا خيال (بول) المريض يرسم له صورة شبغ
الشرطي وهو ينهض من الجرن والقش يتبعثر من حوله ..
وعلى وجهه الميت آثار دماء .. ها هو ذا يراه يزحف
متجهاً نحو البدروم المظلم حيث يرقد (بول) .. يدخل
بشكل ما ويدنو منه وفي عينيه اتهام صامت : أنت
قتلتني .. أنت ناديت وقتلتني ! ..

إنه يحس بأنفاسه تصفع وجهه وأصابه المتقلصة
تلمسه ..

على أنه - حين اعتاد عيناه الظلام - بدأ يميز حدود
الموجودات .. وبدأ يهدأ قليلاً
ستكون ليلة طويلة حقاً ..

★ ★ ★

بعد ساعتين مذهبته إلى المحقن وغرسه في فخذه .. لقد
قالت (آني) إن هذا (سكويولامين) .. من يدري ؟ .. ربما
كان سماً زعافاً .. لكنه حقاً لا يعبأ بالنتائج .. كل ما يدريه
هو أن فخذه يتألمن وحوضه يئن ..
لم يكن قد أعطى حقنة في حياته .. لكنه فعلها بنجاح
تام .. وغرق في نعاس عميق ..

★ ★ ★

عادت (آني) في الثالثة بعد الظهر منهمكة مبالغة
للصمت ، وكان شعرها حول رأسها مسطحاً وقد اتخذ شكل
الخوذة التي كانت ترتديها في أثناء ركوب الدراجة ..
- « كيف كانت الأمور ؟ » .
- « لا بأس .. لا بأس ؟ » .

ثم أدارت ظهرها ليتعلق بيوتها كي تعيده لغرفته ..
وسارت صاعدة درجات السلم . ولم تنس قبل الصعود أن
تلقي نظرة أخيرة على محتويات البدروم لتري أية
تغيرات ..

لحسن الحظ لم تلاحظ شيئاً ..

لم تلاحظ علبه سائل إشعال الموقد التي سرقها (بول)
ودسها في سروال منامته لغرض في نفسه .. غرض بدأ
يتبلور في ساعات الفجر الأولى حين رأى العلبه جوار
المرتبة التي نام عليها ..

وحين رقد في فراشه أخيرًا طلب منها بعض (النوفريل) فما إن خرجت من الغرفة حتى أخفى العلبة تحت المرتبة .. كان يعرف أن هذا المكان صار مفضوحًا تمامًا ، لكنه لم يجد أفضل منه في الوقت الحالي ، وحتى يجد مكانًا أكثر أمنا ..

عادت له بالـ (نوفريل) و (بلوك نوت) وبعض أقلام الرصاص ، وقالت له إنها ستغفو بعض الوقت ويمكنه أن يكتب قليلًا في قصته مستعملًا القلم والورق لأن الوقت قد صار قصيرًا !

قال لها مطمئنًا :

« أعتقد أنني سأنتهي القصة في خلال أسبوع .. ولكن أريد منك وعدًا .. »
« ماذا ؟ »

« لا تقرني ما أكتبه من الآن فصاعدًا وحتى أنتهي .. لأريد للمتعة أن تتجزأ .. »
« ستكون قصة جيدة يا (بول) .. أليس كذلك ؟ »
« ستكون تحفة فنية ! »

بعد ثلاث ساعات تحرك (بول) على مقعده إلى ركن الغرفة .. وبرفق مَدَّ يده إلى لوح من خشب الأرضية كان قد لاحظ أنه مخلوع .. الفرنان والرطوبة شكلت تحته حفرة لا بأس بعمقها وهو واثق من أنها لا تعرف بوجودها .. الغبار يذل على أن أحدًا لم يلمسها قبله ..

سَمِعَ علبة سائل الإشعال في الحفرة وأعاد اللوح الخشبي لموضعه .. وللحظة ارتجف من فكرة أن يظل اللوح مرتفعًا قليلًا خاصة وأن الشيطانة تملك عينين حادتين كعيني الصقر ، لكن اللوح عاد كما كان

ثم إن (بول) انتحى بالمقعد جانبًا وعكف على الكتابة .. أربع ساعات كاملة استهلك فيها الرعوس المدببة لخمسة أقلام رصاص أعطتها له ..
وعندئذ عاد إلى الفراش .. ونام ...

توقف القلم عن الكتابة حين سمع (بول) صوت سيارة تتوقف في الفناء .. من الغريب أنه لم يشعر سوى بضيق لهذه المقاطعة .. وسمع صوت حذاء (أنى) الثقيل يقترب من الغرفة .. وفي صرامة قالت له :
« ابتعد عن النافذة ... » .

كانت تحمل الحقيبة على كتفها وكان يعرف معنى هذا .. إن المسدس معدّ لتفريغها في الزائر ثم في (بول) ثم في

نفسها لو أن (بول) أحدث شغباً .. لهذا ابتعد عن النافذة
دونما تفكير ، قالت في هدوء صارم :
- « إنهم رجال الشرطة .. فهل ستكون عاقلاً
يا (بول) !؟ » .

- « نعم ... » .

« سأحاول أن أثق بك » .

وتركته لتقابل القائمين .. ومن النافذة رأى (بول)
السيارة (البلایموث) تقف في الفناء ويخرج سائقها ليقف في
نفس الموضع الذي وقف فيه الشرطي أول أمس قبل أن
يموت .. كان شاباً حديث السن لا تبدو عليه المبالاة . أما زميله
فكان عملاقاً مقتول العضلات في الأربعين من عمره ، ولقد
وفقا يستجوبان (آنى) في حين فكر (بول) في احتمالات أن
يهشم الزجاج ويصرخ هذه المرة .. هناك فرصة ثمانية
لعشرة في أنهما سيتمكنان منها .. لكنها سريعة الحركة
بالإضافة إلى أنها تتوقع الغدر ، أما هـما فسيضيعان وقتاً ثميناً
في فهم ما يحدث .. وهذه نقطة لصالحها ..

ربما كان من الأفضل أن يهتم بـ (آنى) بنفسه ..
فالبوليس سيكتفى بوضعها في السجن .. لكن (بول) كان
يملك لها خططا أفضل ..
كان يعرف كيف يؤذيها

★ ★ ★

٨ - الانتقام ..

سمع (بول) صوت باب المطبخ يفتح إذ دخلت (آنى)
والشرطيان .. وفهم (بول) من المحادثة أن الشرطي
المختفى اسمه (دوين كوشنر) .. وأنه كان يبحث عن كاتب
يدعى (بول شيلدون) تم العثور على سيارته عندما ذاب
الجليد ، لكع الشرطة - كما هو واضح - لم تربط بين
اختفاء رجلها وبين اختفاء (بول) على أساس أن
(كوشنر) - لا بد - سقط في شرك بعض مهربى
المخدرات ..

كانت تحكى للشرطيين قصتها الملفقة عن الشرطي الذي
جاء ليسألها عن صورة كاتب يدعى (بول شيلدون) ..
وكيف لم يمكث سوى خمس دقائق قبل أن ينصرف حاملاً
علبة المياه الغازية التي قمتها له ..

كان (بول) يتوقع في أية لحظة أن يسألها أحد
الشرطيين عما تحويه الحقيبة التي تحملها بحق السماء ..
وعندئذ سيتعالى صوت طلقات الرصاص ..

كيف لو علم هؤلاء أن الكاتب الذى يبحثون عنه ينتظر على كرسية المتحرك فى محبسه على بعد يقل عن ثلاثين قدماً .. ؟

تعالى صوت أحد الشرطيين - الضخم بالتأكيد - يسأل .
« ماذا هناك بالضبط ؟.. » .

دوى صوت (أنى) الرزين يجيب :
« لا شيء .. غرفة نوم إضافية جوارها حمام ..
لا أستعملها عادة .. يمكنكم أن تلقوا نظرة إذا أردتما لكن
دعنى أؤكد لك أنك لن تجد جثة شرطى بالداخل ! » .
« بالطبع يا سي .. يا أنستى .. شكراً لتعاونك وربما
عدنا مرة أخرى .. » .

★ ★ ★

واصل (بول) الكتابة فى تركيز حقيقى .. لكنه لم يستطع نسيان أن الشرطيين نظرا نظرة ذات معنى إلى بعضهما قبل ركوب السيارة .. حتى من مكمته لم تفتحه هذه النظرة ..

وفى اليوم التالى فوجئ بسيارة تابعة لأخبار التليفزيون تثب منها مذيعة حسناء تريد أن تجرى حوارا مع (أنى) ! .. لكن (أنى) خرجت لهم بالبندقية وأجبرتهم على الفرار ..
لقد عادوا !..

لقد بدأت الإشاعات فى الجوار أن الشرطى المختلف كان قد مر على دار المرأة (التنين) ، وهامهم أولاء يحاصرون دارها .. ويطاردونها .. الذين هربت منهم فى الماضى قد عادوا ..

وبعد يومين جاء مزيد من رجال الشرطة ليسمعوا القصة من جديد .. ولكن أحدهم نكرها فى هذه المرة أن بوسعها استدعاء محام إذا أرادت .. لكن (أنى) رفضت وأعدت مرد قصتها بثبات .. ولم تبد لـ (بول) أن هناك اختلافات عن المرة السابقة ..

بعد انصرافهم جاءت (أنى) لحجرته ..
كانت هناك خدوش دامية على جبينها فأدرك - دون جهد - أنها آذت نفسها مرة أخرى ..

قال (بول) محاولاً إفساد الدعاية :
« هذا البيت قد تحول إلى حديقة ملاه .. » .

لم تبتسم .. فقط سألت فى صرامة :
« كم بقى لك من وقت ؟ » .

نظر إلى كومة الأوراق أمامه .. ثم غمغم :
« يومان .. ربما ثلاثة .. » .

« حين يجيئون المرة القادمة سيكون معهم أمر التفتيش .. وأنت تعلم معنى ذلك .. » .

ودون أن تنتظر رداً فارقت الحجرة ..

★ ★ ★

جاءته فى المساء لتراقبه منهما فى الكتابة .. ثمة
 (كاللو) صغير بدأ يتكون فى أصبعه الأوسط من جراء
 الإمساك بالقلم ..
 - « ألن تنام ؟ » .
 - « نعم .. بعد قليل .. أحيانا ينبغى أن أوصل الكتابة
 حتى لا أفقد التسلسل » .
 - « ولن تأخذ حبوبك ؟ » .
 - « أشعر بأنم لكنى لا أريدها أن تعتم أفكارى .. » .
 همست بنعومة :
 - « (بول) .. ستكون القصة جيدة .. أليس كذلك ؟ ..
 أنت لم تعد تكتب من أجل بل لمتعتك الخاصة .. أليس
 كذلك ؟ .. » .
 بالفعل لم يكن لك يا (أنى) .. ولا لزوجتى السابقتين ..
 ولا لجمهورى .. بل لى أنا .. لهذا السبب يهدى الكاتب
 كتابه لشخص ما .. لأن أنانيته تفرغه هو نفسه ..
 * * *

فى اليوم التالى مرت سيارات عديدة .. سيارة كانت
 تحوى مراهقين أخذوا يهللون ويتصايحون فخرجت لهم
 (أنى) متوعدة بأن تطلق عليهم الرصاص - كالكلاب -
 ما لم يرحلوا فوراً

فصاح أحدهم :

- « أذهبنى للجحيم أيتها المرأة اللتين ! » .
 - « أين أخفيت جثة الشرطى !؟ » .
 وولوا الأديار وسط سحابة من الغبار ...
 فى المساء أحضرت لـ (بول) مضاداً حيوياً (لأنه كان
 قد بدأ يعانى التهاب مثانة شديد) ومعه دلو ملئ بالثلج كى
 يدفن فيه يده التى تورمت من الكتابة .. ثم نام ..
 كان يحلم .. يحلم بأنه ضائع فى عاصفة من الجليد ..
 فقط لم يكن ما يراه جليداً بل مجموعة من الأوراق ..
 أوراق خالية من حروف النون والتاء .. وكان ضائعاً ..
 ضائعاً ..

كان هذا هو اليوم الأخير .. لقد أخبر (أنى) بذلك ..

* * *

صحا من النوم فى الحادية عشرة صباحاً ففوجئ
 بـ (أنى) تهرع نحوه حاملة عصير البرتقال والدواء
 وسلطانية ملأى بحساء الدجاج .. وفى انفعال هتفت :
 - « اليوم يوم خاص جداً .. أليس كذلك يا (بول) ؟ » .
 حاول التقاط المنعقة لكن يده اليمنى كانت متصلبة
 متخشبة وكان قضبانها معدنية قد ثبتتها فى وضع لا يتغير ..
 لقد كانت أيامه الأخيرة نوعاً من تعذيب محاكم التفتيش ..

وهكذا لم يعد أمامه خيار سوى العودة للآلة الكاتبة من جديد شاقاً طريقه وسط غابة من حروف (النون) و (التاء) ..

التمعت الدموع في عينيها .. وبصدى همست :

- « كان يجب أن أبتاع لك آلة جديدة .. لكنى لم أرد أن أعترف لنفسى أن هذه المرأة (دارتمونجر) قد استطاعت خداعى .. »

وفي رقة أمسكت يده ولمتت أطراف أناملها ..

- « لقد أعددت لك مفاجأة لهذه الليلة .. لا أدري حقاً إذا كنت تحبها لأنى لأسلك خبرة فى هذه الأمور .. لقد ابتعت لك علبه (كافيار) ! »

كاد (بول) ينفجر ضحكاً برغم علمه أن الضحك سيجعلها تحسبه يسخر منها .. فالكافيار لم يكن من الأشياء التى يجيها أو يمقتها .. فقط حين يركب طائرة وتقدم له المضيفة طبقاً منه يأكله ثم ينسى كل شيء عن وجود (كافيار) فى العالم إلى أن يركب الطائرة مرة أخرى وتقدم له المضيفة طبقاً آخر، إن (آنسى) قد سجنتك وعذبتك وستقتلك حتماً .. لكنك على الأقل ستموت بمعدة مليئة بالكافيار ...!

قال لها وقد تمالك نفسه :

- « لى مطلب آخر أرجو أن تحققه يا (آنسى) .. »

- « ما هو ؟ »

- « كانت هناك علبه سجانر فى حاجياتى، وإننى

أرغب فى لفافة تبغ بعد أن أنتهى من القصة ! »

تلاشت ابتسامتها وهتفت :

- « (بول) .. أنا لا أوافق على هذه الأشياء .. إنها

تسبب السرطان ! »

- « (آنسى) .. هل حقاً تعتقدين أن السرطان من

الأمراض التى يجب أن أخافها وأنت ستقتليننى هذا

المساء !؟ »

لم تجب .. فأردف :

- « لقد اعتدت دائماً حين أنتهى قصة أن أدخن واحدة ..

وهى عادة أحبها وتربطنى بالماضى .. فما قولك ؟ »

وافقت على مضمض وتركت الحجرة ..

أخيراً .. انتهت القصة !..

بيد مرتجفة خط (بول) أجمل وأسوأ كلمة فى قاموس

الكتاب (النهاية) عند نهاية الصفحة الأخيرة .. ووضع

القلم جانباً بينما تلك الشعور الذى يلزمه كلما أنتهى قصة

يرواده .. شعور بالخواء .. شعور بانعدام الحيلة ..

لكنه - مهما قلنا - شعور جميل ..

دائماً هو شعور جميل ..

أن تنتج .. أن توجد شيئاً لم يكن ..

مذ يده وكوم الأوراق .. ثم التقط لفاقة التبغ التي
أحضرتها له .. وجوارها كانت مطفأة السجائر التي هشم
بها الزجاج ليلتها .. ثم مشط ثقاب لا يوجد به سوى عود
واحد .. العود الوحيد الذي سمحت به لكنه كاف جداً ..

كان يسمع صوت خطواتها في الطابق العلوي لأنها لم
تشأ أن تجيء حتى ينتهي من التدخين ولأنها لا تتحمل
رائحة التبغ ..

جميل ...!.. يستطيع أن يعد كل شيء للعبته الكبرى قبل
مجيئها ..

★ ★ ★

ناداه فسمع خطواتها تهبط درجات السلم ..

كان قد سكب الكثير من سائل إشعال الموقد على
الأرض فملأت رائحته الحجرة ... كومة الأوراق التي كتبت
القصة عليها غارقة في السائل إلى جوار الآلة الكاتبة
المقيبة ..

سمع خطواتها تقترب .. فهمس لنفسه : إننى أسمع
هذه الأصوات للمرة الأخيرة .. يا له من خاطر بهيج !.. لم
يكن قد أشعل لفاقة التبغ طبعاً .. كان يريد عود الثقاب
فحسب ..

ماذا ستفعل لو لم يشتعل العود ؟ .. لقد فات الوقت

للتفكير فى هذا ..

شريك !.. لم يشتعل ..!.. حاول ثانية بهدوء ..

شريك !.. لا جدوى .. خطواتها تقترب أكثر ..

شريك !.. أخيراً !.. اللهب الأصفر الجميل يتزايد حول

رأس العود .. وهنا دخلت (أنى) الغرفة ..

★ ★ ★

.. « أخيراً .. لا أصدق ذلك .. لكم كنت أت .. »

كذا هتفت (أنى) فى سعادة ثم احتبس الكلام فى حلقها

حين رأت (بول) على مقعده وأمامه كومة من الأوراق

مكتوباً على أول واحدة منها :

عودة (ميرزى)

بقلم بول شيلدون

وجوار الأوراق كان يمسك بعود الثقاب المشتعل !..

تصلبت فى وقفاتها .. وفجرت فاها فى غباء :

« (بول) .. ماذا تفعل ؟ » .

« لقد انتهت القصة يا (أنى) .. إنها جيدة .. ربّما

أفضل ما كتبت فى حياتى .. والآن سأقوم بلعبة صغيرة

تعلمتها منك ! » .

مذت يديها فى لهفة نحوه وصرخت :

« لا .. لا .. لا ! لا تفعل ! » .

ابتسم فى ثقة .. أول ابتسامة من نوعها منذ شهور ..

« من المؤسف أنك لن تقرنيها .. لقد كانت تحفة ! » .

وهنا أوشك الثقب أن يحرق أنامله فألقاه على

الورق ..

وللحظة خيل إليه أنه إنطفأ .. ثم بدأت نار زرقاء شاحبة

تشتعل فى الورقة الأولى .. ثم .. فومب ! .. اشتعل السائل

بلون أصفر محدثاً فرقة ..

« لا يا إلهى ! .. ليمت (مىزرى) ! .. ليست

(مىزرى) ! » .

« أسرعى وتمنى أمنية أيتها الشيطانة ! .. » .

ومذت يدين عاجزتين إلى الأوراق الملتهبة ..

كان السائل قد تسرب إلى الآلة الكاتبة فبدأ اللهب ينبثق

من بين المفاتيح .. والحرارة تشوى جانب وجه (بول) ..

بينما (أنى) تصرخ فى هستيريا :

« أيها القار (المقرق) ! .. يا طائر الشؤم ! .. ليس

(مىزرى) ! » .

وهنا فعلت الشيء الذى كان واثقاً من أنها ستفعله ..

حملت الأوراق المشتعلة راكضة نحو الحمام لتضعها فى

الحوض على أمل أن تتقد شيئاً ..

فما إن أدارت ظهرها حتى رفع (بول) الآلة الكاتبة غير

عابئ بسخوتتها التى بدأت تحرق يديه .. رفعها غير عابئ

بقطرات السائل الملتهب التى تسقط عليه ..

وبوجه كأنما قُذ من صخر .. قذف الآلة الكاتبة على

المرأة لتصدمها فى ظهرها ..

« أووووج ! » .

أنت (أنى) وسقطت على الأرض على وجهها ومن

تحتها كومة الأوراق المحترقة فتحامل (بول) على نفسه

ونهب متوكفا نحوها ..

كانت قد بدأت تستدير لتتهض والنيران بعد مشتعلة فى

ثيابها :

« لسوف أقتلك أيها الكاذب ! » .

قالتها .. إلا أن (بول) رمى نفسه عليها فوق الآلة

الكاتبة المحترقة .. سمعها تصرخ كقط وتتلوى كقط فلم

تأخذها بها أية شفقة ..

كانت تسب وتلعن لكننه واصل تثبيت جسدها بين

النيران ..

« هو ذا الكتاب يا (أنى) ! .. إنه تحفة ! .. كليه

يا (أنى) .. كليه ! » كانت تصدر أصواتاً مختلطة وحاولت

أن تلقيه من فوقها لكنها فشلت ..

« مف ! .. مف ! » .

وأخيراً استطاعت أن تنهض من تحته .. تحاملت على
قدميها ودنت منه خطوة .. اثنتين .. ثم سقطت ثانية فوق
الآلة الكاتبة .. كانت عيناها ترمقانه بتعبير متسائل
مربع .. لماذا يا (بول) ؟! لماذا ..؟ كنت سأقدم لك
الكافيار ..!

وساد الصمت

★ ★ ★

تشبث (بول) بملاءة السريركى يستطيع النهوض ..
الغرفة مليئة بالأوراق المحترقة التى ولى حماسها ..
الرماد والدخان فى كل مكان .. وقد أذى (بول) ظهره وأحرق
كفيه .. وفى أمعانه شعر بتقلص مربع .. لكنه حز .. حز ..
لقد ماتت الشيطانة .. مات الصنم ..

تناول البطانية وبدأ يلقيها على الأوراق المشتعلة
المبعثرة فى أرجاء الغرفة وهو يلهث ..
ثم بدأ يزحف متجهاً نحو المقعد المحترق ..
وهنا فتحت (أنى) عينيها ..

★ ★ ★

راقبها (بول) غير مصدق ، بينما هى تنهض على
ركبتيها ببطء .. مستحيل هذا !.. أنت ميتة !..
عيناها تحدقان فى عينيها ووجهها ملطخ بالدماء وفى
عصبية صرخت :

- « نورد !.. أتر ! » .



وبوجه كأنما فُذ من صخر .. قذف الآلة الكاتبة على المرأة

لتصدمها فى ظهرها ..

قالتها وهي تبصق الورق المحترق من فيها وترحف
نحوه على أربع ..

تراجع (بول) وبدأ يزحف نحو الباب .. يزحف .. وفجأة
شعر بيدها تطبق على ساقه أو ما تبقى منها .. وسمعها
تهتف في الانتصار :
- « قذر !! » .

انتزع قدمه منها بأعنف ما يستطيع .. وعاد يزحف ..
ويبكي .. والعرق ينهمر على خديه .. من خلفه يسمع صوت
ركبتها تتقدم نحوه خطوة .. فأخرى .. خطوة .. فأخرى ..
كانت آتية !! لقد هشم ظهرها وأحرقها وأسقطها أرضاً
لكنها - بعد كل ذلك - ما زالت آتية !! آتية !!
أحس بها تمسك بسمانة ساقه اليسرى ..

مد يده متشبهاً بجانب الباب وحاول أن يجذب جسده ...
الآن يدها اليمنى تمسك بفخذه بقوة ..
إنها فوقه .. ظلها يغمره .. الرعد .. البرق .. الصنم ..
- « قذر !! أذر ! » .

يداها حول عنقه .. وفي أعماقه صرخ : أنن تموتى
أبدأ ..؟ أنن تموتى ؟

وفجأة تلاشى الضغط .. وشعر بها تجثم فوق أنفاسه دون
حركة .. كجبل من اللحم المتراسخى .. لقد همد جسدها
أخيراً .. وبأخر ما يملك من همم شق طريقه من تحتها

وزحف للباب متوقفاً في أية لحظة أن تطبق يداها على
ساقه .. لكنها كانت قد ماتت .. بالتأكيد ماتت .. وعلى
الباب فقد وعيه بضع ثوان ..

لكنه حين فتح عينيه وجد أصابعها تتحرك تلقائياً عابثة
في أطراف قميصه .. أجفل وتراجع بعيداً .. فاهتزت
الأصابع قليلاً ثم سكنت ..

بدأ يزحف نحو الحمام .. وأغلق الباب خلفه حتى لا يرى
أصابعها تمتد تحت الباب نحوه ...، فما إن دخل الحمام حتى
كان كل جزء من جسده يعوى ألماً، أغلق الباب خلفه
وزحف إلى حيث علب الـ (توفريل) فابتلع ثلاث كبسولات
دون ماء، ثم ألقي بثقله على الباب وغاب عن الوعي ..

★ ★ ★

إنه الظلام

لم يدرك في البداية أين هو .. ثم تذكر كل شيء ، ومع تذكره
أدرك حقيقة مؤكدة : أنها لم تمت .. بالتأكيد لم تمت ..

لا شك أنها تنتظره خارج الباب حاملة فأسها .. إنه يكاد
يسمع صوت تنويرتها تحتك بالجدار المجاور للحمام ..
كلًا ..! هذا مجرد وهم تتخيله .. أنت تعرف أنها ماتت
أخيراً .. ولكنني سمعت صوتاً ...

اهدأ يا (بول) يا صديقي .. ليس من الحكمة أن تجن

لأن هذا سيكون نصراً لـ (آنى) .. لماذا لا تغادر الحمام الآن؟.. كلاً .. سأظل هنا حيث الأمان ..

لكنك يجب أن تغادر هذا المنزل الرهيب .. يجب أن توقف سيارة على الطريق ولن يطول انتظارك لأن منزل (انى) صار محط الأنظار ..

استجمع شجاعته .. وتسلق لمقبض الباب وفتحه ببطء .. لم يكن هناك سوى الظلام .. بدأ يزحف متجهاً نحو الصالة ، ولم يفته أن يلقى نظرة على الغرفة التى كان بها فوجدها مغلقة كما تركها ..

الظلال فى كل مكان .. يمكنها أن تتوارى خلف أى ظل منها .. يمكنها أن تكون أى ظل منها .. وفى كل الأحوال يمكنها أن تحمل الفأس .. استمر فى الزحف ..

كانت (آنى) خلف الأريكة تنتظره .. بل كانت واقفة خلف باب المطبخ .. بل هى تزحف على ركبتيها خلفه .. وهنا سمع صوت سيارة تتوقف فى الفناء الخلفى .. ورأى أضواءها من النافذة .. وفى الظلام تردد صوت يسعل .. رأى معالمه من النافذة بوضوح تام .. هذه القبعة لا تعنى سوى شيء واحد .. هذا شرطى !..

مد يده وتناول تمثالاً بطريق وجده أمامه .. وعلى قاعدة التمثال كتبت عبارة (توته توته .. فرغت الحدوتة) .. همس (بول) لنفسه :

- « وكذلك حدوتتى أنا .. حمداً لله .. » .

وألقى التمثال ليهشم زجاج النافذة .. وصرخ بأعنف ما يستطيع :

- « الغوث !.. الغوث !.. أنا هنا ! » .

★ ★ ★

كان هذان هما الشرطيان اللذان جاءا (لآنى) من قبل .. الشرطى النحيل وزميله الضخم ، وكان معهما إذن تفتيش هذه المرة ..

وحين هشما باب المنزل استجابة للصرخات وجدا رجلاً كأنه خارج من كابوس .. رجلاً يصعب عليهما تصديق أنه حتى ..

كان يرتحف كورقة ويرند :

- « صنم الـ (بوركاس) .. احترسا .. غرفة النوم حيث احتجزتنى .. كاتب أليف كما تعلمان .. غرفة النوم .. » . وهنا هتف أحدهما :

- « هل ترى ؟.. إنه الشخص الذى كان (كوشنر) يبحث عنه .. الكاتب .. قد سميت اسمه لكنه هو !.. » . صاح (بول) فى هلع :

- « احترسا !.. إنها خطرة كالحية ذات الأجراس .. ولو أنها حية فلسوف ..

انظروا لقد قُطعت رجلي بالفأس ! » .

نظر الرجلان إلى قدمه لثوان .. ثم همس الشرطي
النحيل :

- « يا للسماء ! » .

ومذ يده إلى حزامه مخرجًا مسدسًا وأشار لزميله أن
يتبعه .. سويًا اتجها نحو غرفة النوم التي كان (بول)
بها .. أغلق (بول) عينيه منتظرًا سماع صوت طلقات ..
أو سماع صراخها أو صراخهما ، كأنما مر دهر عليه في
هذا الوضع ..

ثم سمع صوت خطوات أحد الشرطيين عائدًا إليه ..
وسمع صوته الرزين يقول :

- « هناك دماء وورق محترق .. لكن لا أحد في
الغرفة .. » .

نظر له (بول) .. ثم بدأ يصرخ ..

يصرخ

حتى فقد الوعي ..

★ ★ ★

الخاتمة

لمدة تسعة شهور بعد ذلك اليوم ظلّ (بول) يتردد
ما بين عيادات الأطباء والمستشفيات لإصلاح ما حدث
لذاته من خلل ..

أعادوا كسر ساقه وتجبسها ، ووضعوا ساقًا صناعية
لرجله المبتورة .. وأخبروه أنه سيرجع بقية حياته .. لكنه
لن يموت ..

وكان قد نشر قصته (عودة ميزرى) مصحوبة بدعاية
هائلة عن الظروف الشاذة التي كتبت فيها ، فكان نجاحها
ساحقًا ولا غرابة في هذا (*) .

لم يعبأ كثيرًا بحماس الناشر ولا برقم المبيعات .. كان
يصبو إلى الكتاب التالي .. لكن الأيام الجافة صارت أسابيع
جافة فشهورًا جافة حتى أنه بدأ يتساءل عما إذا كان هناك
حقًا كتاب تال ..

كان الناشر يحثه على كتابة قصته مع (آنى) .. لكنه لم
يجرؤ .. أحس أنه لو فعل هذا لمارس نوعًا شنيعًا من أكل
لحوم البشر .. لحمه هو بالذات .. أحزانه .. مخاوفه ..
لا يسمع لها أن تتلوث بحبر المطبعة ..

(*) والشئ الذي لم تعرفه (آنى) هو أن قصة (عودة ميزرى)
لم تحترق لأن (بول) لم يجرؤ على ذلك .. ما فعله هو أن حرق
مجموعة من أوراق المسودات على رأسها صفحة العنوان ..

كانت (آنى) قد ماتت حقاً ..

وفيما بعد عرف (بول) أنها تحاملت على نفسها
وخرجت من نافذة الحجرة ، بينما كان هو فاقد الوعي فى
الحمام ، وذهبت إلى الجرن حيث ماتت .. ماتت بسبب كسر
فى الجمجمة أصابها حين تعثرت على الأرض ..
لكنها كانت تملك له خطأ مستقبلية .. ليس بالفأس
هذه المرة ..

كانت يد جثتها تمسك بالمنشار الكهربى الذى كانت
تضعه فى الجرن ..!.. وكانت تنوى أن تفتحم به باب
الحمام ..

لقد نامت (آنى) أخيراً فى قبرها ، لكن ليس فى كوابيس
(بول) الذى نبش قبرها مراراً .. ورأها تخرج له مراراً ..
وأطارت بفأسها أغلب أطرافه مراراً ..

★ ★ ★

وأمام شاشة الكمبيوتر جلس ..

أمام (منسق الكلمات) الذى اشتراه ... جلس عالماً أنه
سيظل يحدق فى الشاشة الخاوية عدة ساعات بينما يلتمع
المؤشر مراراً .. ثم يطفى الجهاز وينام .. هكذا دأبه منذ
انتهت تلك المأساة ..
ولكنه تذكر شيئاً ..

تذكر أنه رأى فى الشارع طفلاً يحمل قفصاً .. وكان
بالقفص ظربان حى .. من أين جاء الظربان ؟ وكيف
وضعه الطفل فى القفص ؟.. كلها أسئلة بلا إجابة ..
(بول) .. هل تستطيع ..؟

بالطبع .. أستطيع ..

بدأت يداه تلمسان الحروف ، والشاشة تمتلئ بالكتابة ..
قصة جديدة عن طفل وجد ظرباناً وأصر على صيده ..
لقد استطعت يا (بول) .. استطعت !..

لم يدر أن سرعة أصابعه تزداد ..

لم يدر أن الحاجز قد تهشم ..

لم يدر أن عينيه كانتا تدمعان بينما هو يكتب ..

★ ★ ★

وتوته توته ..

فرغت الحدوتة ..

ستيفن كينج

بانجور - مين - أكتوبر ١٩٨٦

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]